الفتوّة

نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية

سنة ٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨

تأليف

الدكتور أحمد محمد الخطيمي

التدقيق والفهارس

محمد أحمد الخطيمي



الفتوة

نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية

سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الاولى

1429 هـ - 2008م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2008/6/1939)

956.05

الخطيمي ،أحمد

الفتوة / نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية سنة 656هـ/1258م / أحمد محمد الخطيمي .-

عمان : المؤلف، 2008 .

ر.إ: (2008/6/1939)

الواصفات:/ الفتوة// العباسية 750- 1258 /التاريخ الأسلامي//الحضارة العربية //الأسلام /

تم اعداد بيانات الفهرس والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الفتوة

نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية

سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م

تأليف
د. أحمد الخطيمي

التحقيق والفهارس
محمد أحمد الخطيمي

٢٠٠٨م

إهداء

إلى زوجتي و أولادي

المقدمة

فكرة الكتابة في هذا الموضوع تعود إلى سنوات الدراسة في الجامعة، عندما اقترح عليّ أنذاك الأستاذ المشرف على رسالة الدكتوارة بأن أعد بحثاً عن الفتوة نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ وبعد أن قمت باعداد مخطط الدراسة عدلت عن الفكرة وأخترت موضوعاً آخر.

وعندما كنت أبحث في الأوراق المتراكمة في مكتبتي عثرت على المخطط، وعندها قرأته ملياً ووجدتُ لدي الرغبة بالكتابة في هذا الموضوع فأخذت أجمع المادة من خلال الكتب والمقالات المنشورة بالمجلات حول الموضوع.

إن الكتابة في هذا الموضوع هي كتابة شيقة لأنني من خلال اطلاعي على المقالات وهي لاساتذة أجلاء لهم باع طويل في الدراسات والأبحاث بالاضافة إلى المستشرقين الذين كتبوا بهذا الموضوع.

والفتوة في اللغة صفة الفتى أشتقت منه كالرجولة من الرجل والأبوة من الأب والأمومة من الأم والأخوة من الأخ، والفتى في اللغة هو الشاب الحدث، وأستعيرت الفتوة منذ أيام الجاهلية للشجاعة والقوة ومن فيه عزم ومضاء وهذه صفات الشباب.

ولكن الفتوة تطورت إلى معان أخرى غير القوة الجسمية فأستعملت بمعنى السخاء والكرم والحرية والسعي في أمور الناس وقضاء حاجاتهم وإظهار النعمة وأسرار المحنة وأن ينصف المرء غيره، وينكر نفسه[١].

وللفتوة صفات ودلالات ومعاني كثيرة والأقوال فيها متعددة وكثيرة فقد ذكرها معاوية بن أبي سفيان فقال" الفتوة أن توسع على أخيك من مال نفسك ولا تطمع في

---

(١) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا/ عمر دسوقي ص١١-١٢.

ماله، وتنصفه ولا تطالبه بالانصاف، وتكون تبعاً له، ولا تطلب أن يكون تبعاً لك، وتحتمل منه الجفوة ولا تجفوه، وتستكثر قليل بره وتستقل ما يصل منك إليه"[1].

وروى الحسن البصري أنه قال جمعت الفتوة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

ويتطرق هذا الكتاب للفتوة منذ نشأتها الأولى في العصر الجاهلي ومراحل تطورها عبر العصور حتى سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ ثم كيف هذّب الإسلام معاني الفتوة الجاهلية وأسبغ عليها من هديه ورونقه، ثم كيف تطورت هذه الفتوة الإسلامية حتى صارت وقفاً على طبقة خاصة من الناس، لهم تقاليدهم وتعاليمهم وزيهم.

ويتكون هذا الكتاب من أربعة فصول هي:

* **الفصل الأول:** وتم التطرق فيه لتعريف كلاً من الفتوة والفروسية وشروطهما والقيم المشتركة بينهما.
* **الفصل الثاني:** يتحدث عن الفتوة الإسلامية (وجه الفتوة الديني) ومصادرها في القرآن الكريم والسنة النبوية وتطرق الحديث عن نماذج من الفتوة الدينية (قصة فتيان الكهف، فتى موسى عليه السلام)، وذكر الآيات القرآنية التي أشارت إلى قصتهم، والحديث عن فتوة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.
* **الفصل الثالث:** فكان الحديث فيه عن الوجه الاقتصادي والاجتماعي للفتوة، وكيف تطورت الفتوة، وتعددت أساليبها، حيث أصابها بعض الانحراف عن طريقها الصحيحة، وظهور منظمة الأحداث والزعار والشطار والعيارين وما صاحب ذلك من أساليب الفوضى والسطو والسلب والنهب والحرق.

---

(١) الفتوة / ابن المعمار ، ج١ – ص٩.

(٢) سورة النحل، آية ٩٠.

* الفصل الرابع: تطرق الحديث فيه إلى الوجه السياسي للفتوة، فقد تم إلغاء الفتوة القديمة وإظهار الفتوة الناصرية التي أوجدها الخليفة الناصر لدين الله، ونشرها بين ملوك الأطراف، وقد أخذت الفتوة الجديدة شكلاً جديداً يختلف عن الفتوة القديمة وأصبحت حكراً على أناس معينين، وأيضاً بيان هدف الخليفة من إيجاد الفتوة الجديدة، وهل تم تحقيق أهدافه من ذلك، وما آل إليه مصير الفتوة بعد الناصر لدين الله حتى سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.

الفصل الأول

الفتوة والفروسية في العصر الجاهلي

أ- الفتوة :

- تعريف الفتوة .
- شروط الفتوة .
- طقوس الفتوة وعاداتها.

ب- الفروسية:

- تعريف الفروسية .
- اخلاقيات الفارس.
- شروط الفروسية.

ج- القيم المشتركة بين الفروسية والفتوة.

تعريف الفتوة:

الفتوة كلمة يختلف معناها باختلاف المستعملين لها، فهي عند أصحاب التربية البدنية والرياضة الجسمية صلابة أعضاء وقوة أطراف.

وهي عند رجال الكشافة مروءة وإيثار ومعاونة للغير وخدمة للجميع.

وهي عند أهل الفروسية طائفة من خصال البطولة والسماحة والرقة والمعاملة.

وهي عند الصوفية: مجموعة من خلال البرّ والخير، مثل اسقاط الجاه والزهد والرضا ومحاربة النفس والعفو عن زلات الناس[1].

والفتوة في اللغة من الفتاء وهو الشباب، والفتى في الأصل هو الشاب، قالوا فتى يفتي أي صار شاباً، وقالوا هو فتّى السن، بَيِّنُ الفتاء[2].

كما ورد تعريف الفتوة في كتاب "التعريفات" بأنها السخاء والكرم، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة[3]. فالفتوة تعني القوة لأن الشباب مصدرها.

وقبل الحديث عن الفتوة لا بد من التعرض إلى المعنى اللغوي لكلمة الفتوة كما وردت في المعاجم اللغوية.

فنجد أن معناها في <u>أساس البلاغة</u>[4]:

فتى – هذا فَتًى بَيِّن الفُتُوَّة، وهي الحُرِّية والكَرَم والكلام، وتقول العرب: فتىً من صفته كيتْ وكيتْ من غير تمييز بين الشيخ والشابّ، وهذا فتىً بيِّن الفَتَاءَ وهو طَراءةَ السن.

قال: إذا عاش الفتى مائتين عاماً   فقد ذهبت البشاشةُ والفَتَاءُ

---

(١) مجلة الأزهر – الجزء الأول، مجلد ٢٧ ص١٣٢، مجلة شهرية جامعة تصدر عن مشيخة الأزهر الشريف بالقاهرة.

(٢) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص٩.

(٣) التعريفات ص١٧١.

(٤) أساس البلاغة ج٢/ ص١٨٤+ص٤٦٣ وما بعدها (كلمة فتى).

وأبردُ من شيخ يَتَفَتَّى، أي يتشبّه بالفتيان وتقول: هؤلاء فُتُوٌّ ما فيهم فُتُوّة وهو جمع فَتًى؛ قال:

وفُتُوّ هَجّروُا ثمّ أسْرَوُا ليلهمَ حتى إذا انجابَ حَلّوا

وفلان من أهل الفَتوىٰ والفُتْيا، وتعالوا ففاتُونا وتفَاتُوا إليه: تحاكموا، قال الطرماح:

هلمَّ إلى قضاةِ الغوث فأسالْ

برهطك والبيانُ لدى القضاةِ

أنخْ بفناء أشدقَ من عديٍّ

ومن جَرْمٍ وَهم أهل التَّفاتي

وقال عمر بن أبي ربيعة:

فبتُّ افاتيها فلا هي ترعَوَىَ

بجودٍ ولا تبْدي إباء فتبخلا

ومن المجاز: « لا أفعل ذلك ما كرّ الفتيان »؛ قال:

غَدَا فَتَيَا دهرٍ وراحا عليهمُ

نهارٌ وليلٌ يلحقان التواليا

وهذا كقولهم: الجديدان. وتقول: بارك الله في فَتوتك وفتاتك، وأدام ما دام الفتيان– بركةَ إفتاتك.

وأقمتُ عنده فتىً من نهار أي صدراً منه؛ قال:

فما لبثوا إلاّ فتىً من نهارهم

مُماصَقةً حتى أبارهُمُ القتْلُ

وشرب فلان بالفَتىٰ وهو قدح الشُطارُ سمّي لصغره.

ويجوز أن يقال في العُمرَ: هو من الصبيّ العُمرْ وأتى الرجلُ شرب به، وتقول: فلان يظل مُفتيّاً، ويبيت مفتياً.

وفي المختار من صحاح اللغة[1]:

---

(١) ص٣٨٦.

الفتى الشّابَ، والفَتَاةُ: الشّابّة، وقد فَتِيَ بالكسر، فَتَاء بالفَتْح والمسّد، فهوَ فِتيً السُنُّ بَيْن الفَتَاء.

والفتى أيضاً: السّخي الكريم، يقال: هو فَتىً بَيّنُ الفُتُوّة، وقد تَفتَّى وتَفَاتى والجمْع فِتيان وفِتْيه، وفُتُوّ كَفعُولُ وفُتِيّ كَعِصيٍّ بالضم.

وآستَفتَاه في مسألة فأفتاه، والأسْمُ: الفُتيا، والفَتْوى، وتَفَاتَوْا إليه، ارتفعُوا إليه في الفُتْيا.

وفي لسان العرب المحيط[1]:

شم (زر) فتيّة من اليونانية بمعنى دائمة الشباب لطول عمر أزهارها.

وفي القاموس الجديد[2]:

فَتَا، يَفتُو، فُتُوّاً غيره، غَلَبَهُ في الفُتُوَّة.

وفي القاموس المحيط[3]:

الفَتَاءُ: كسماء: الشبابُ، والفَتى الشابُّ والسَّخِيُّ الكريمُ وهُما فَتيانِ وَفتوانِ ج فتْيانٌ، وفِتْوَةٌ وفُتُوٌّ، وفُتِيٌّ وهي فَتاةٌ جمع فَتَيَاتٌ.

وكغَنِيّ: الشابُّ من كلِّ شيء. وهي فِتيَّةٌ جمع فِتاةٌ وفُتِيَتِ البنتْ تِفتيةً: مُنِعَتْ مُن اللَّعب مع الصِبْيان فَتَفتتْ، والفَتيان: الليل والنهار، وأفْتاهُ في الأمر أبانه له، والفُتْيا والفُتوَى، وتُفتَحُ: ما افْتى به الفقيه، والفِتْيانٌ بالكسر، قبيلةٌ من بَجيلَةٍ منهم ربيعة الفِتيانيُّ، والفتوةُ: الكَرَمُ وقد تَفتَّى وتَفَاتى، وَفتوتَهُمْ: غَلَبْتُهُم فيها، والفتُّى كسُمَيّ:

قَدَحُ الشُطَّار، والمُفتى: مِكيّالُ هِشامِ بنِ هُبَيْرةَ.

وفي تهذيب الصحاح[4]:

الفتى: الشّابُّ، والفَتاةَ: الشّابَّة.

والافتاء من الدوابّ، خلاف المَسَانّ واحدها فَتيٌّ، مثل يتيم وأيتام.

(١) ج١، ص٢٠٧.

(٢) ص٧٥٥ مادة فتا.

(٣) ج٣، ص٣٩٣ وما بعدها.

(٤) ق٣ ص١٠٤٢.

والفَتَى:السَّخِيُّ الكريم، يقال: هو فَتى بَيِّن الفُتُوَّة، والجمع فتيَانٌ وفُتُوٌّ وفُتِيٌّ مثل عُصِيٍّ.

وفي جمهرة اللغة[1]:

الفتاء ممدود مصدر فتًى بينّ الفتاء.

قال الشاعر ربيع بن ضبع الفزاري:

إذا عاش الفتى مائتين عاماً

فقد ذهبت البشاشة والفتاء

والفتى واحد الفتيان مقصور، يثنى فتَين.

وفي الصحاح[2]:

الفَتَى: الشابُّ، والفَتَاةُ الشابّة وقد فَتِيَ بالكسر، يَفْتَى، فهو فَتِيُّ السنّ بيِّن الفَتَاءَ.

وفي قطر المحيط[3]:

فتى يَفتَى فَتىً، كان فَتًى والأسم الفُتُوَّة والفَتَاءَ فُتِيَت البنت على المجهول تفتيةً خُدِّرت وسُتِّرت ومُنِعت من اللعب مع الصبيان، وفاتوني ففتوتهم أفتوهُمَ فَتَوا غلبهم في الفُتُوَّة، وافتاهُ العالم في مسألةٍ افتاء: اجابَه وابان لهُ الحكم فيها واخرج له فيها فتوى فهو مُفْتٍ، وتفتَّى الرجل كان ذا فتوَّة وتكلَّف الفتوَّة، الفَتَى الشابُّ الحَدَث والسخيُّ الكريم، ومثناهَا فَتَيانِ وفَتَوانِ جمع فِتْيَانٌ، وفِتْيةٌ وفَتوةٌ وفُتُوٌّ وفُتِيٌّ وفِتِيٌّ.

وفي محيط المحيط[4]:

فتى يفتَي، كان فَتًى والأسم الفُتُوَّة والفَتَاء فُتِيتْ البنت خُدرّت وسُتِّرت ومُنِعت من اللعب مع الصبيان، وفاتوني ففتوتهم، أفتوهم فَتَوًا غلبتهم في الفُتُوَّة، وافتاه العالم في

---

(١) ج٢، ص٢١٥.

(٢) ج٦، ص٢٤٥١ مادة (فتى).

(٣) ج٢، ص١٥٦٠ مادة (فتى).

(٤) ص٦٧٧.

مسألةٍ افتاه: اجابه وابان الحكم فيها واخرج له فيها فتوى وتفاتوا إلى العالم ارتفعوا إليه في الفتوى.

والفتى: الشاب الحدث والسخيُّ الكريم، ومثنىْ الفتى فَتَيانِ وفَتَوانِ جمع فِتيَانٌ وفِتيةٌ وفِتوةُ وفُتُوٌ وفِتِيٌ، والفتيان الليل والنهار.

فالفتوة اسم أطلق على مجموعة من الفضائل أخصها الكرم والسخاء والمروءة والشجاعة يتميز المتصف بها عن غيره من الناس.

وبهذا المعنى الخلقي وجدت الفتوة قبل الإسلام في بلاد العرب وفارس[1].

والفتوة في الأصل مفهوم خلقي يتضمن جميع الخصال التي ينتظر أن يتحلى بها فتى من الفتيان في جزيرة العرب، والفتى هنا الرجل المهذب العامل، والصفتان اللتان تجمعهما الفتوة هما السخاء وحب القرى من ناحية، والشجاعة من ناحية أخرى. وكلتاهما ينبغي أن تبلغا حد الإفراط. فالأولى حتى الإملاق والثانية حتى الجود بالنفس[2].

لم تستخدم اللغة العربية قبل الإسلام أو في صدر الإسلام مصطلح الفتوة، وإنما استخدمت اسم "الفتى" بصيغة المفرد لا بصيغة الجمع، فالتى يعني الرجل الصغير والنشيط الشجاع في الحرب، والنبيل الفارس الذي يتمتع بسلوك معين، حيث أنه يرتبط بمجتمع القبيلة ومعاركها. والفتى قبل الإسلام فرداً غايته المحافظة على شرفه الذي هو شرف قبيلته[3].

إن النموذج الأسطوري لهذه الشخصية في المجتمع العربي القديم تتمثل بشخصية حاتم الطائي وقصته مع زوجته وأولاده معروفة. حيث تركهم ينامون وهم يتضارعون من الجوع، وحديثه مع أمرأته يعَلِّلها كي تنام، ثم مجيء جارته تشكو له ما وصلت إليه هي

(1) الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ص٢٤.

(2) المنتقى من دراسات المستشرقين/ فرانز تيشنر ص١٨٩.

(3) الملامتية والتصوف وأهل الفتوة ص٢٥.

وأولادها من الجوع، وذبحه لفرسه واطعام الحي لحمها مع معزتها عليه وحاجته لها وتركه بنيه وزوجته بدون طعام هو دليل على مبدأ الإيثار العجيب الذي لا نرى له شبيهاً في وقتنا الحاضر.

فهذه الصفات لا نجدها إلا بين هؤلاء العرب الذين عاشوا في الصحراء فعلمتهم كيف يميتون غرائز الأثرة وحب التملك وحب البقاء(١).

والفتوة في اللغة من الفتاء وهو الشباب، والفتى في الأصل الشاب، أما الفتوة فهي القوة، لأن الشباب مصدرها وفي ذلك يقول الشاعر:

مـا لبث الفتَيـان أن عصفـا بـه

ولكـل قُفـلْ يسرًا مِفتـاحـاً

وقال آخر:

يَا عزُّ هل لك في شيخ فتىً أبداً

وقد يكون شبابٌ غير فتيان(٢).

فالفتوة تعني قوة الجسم والبدن ثم تطورت إلى معاني أسمى من ذلك كحب الخير والأريحية والسخاء، والفتى مَنْ وَقَّرَ الكبير في العلم أو في السِنِّ، والفتى من رحم الصغير في العلم أو في السِّنِّ، ومن أثر المكافئ في السِنِّ أو في العلم(٣).

فالفتى من لا خصم له لأنه فيما عليه يؤديه وفيما له يتركه فليس له خصم(٤).

وربما أفرط الفتى فتجاوز افراط إيثار الغير إلى بذل النفس آنفةً من تحمل العار أو دفعاً للظلم وحفظاً لحق الجوار.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية – الطبعة الإنكليزية ج٢ ص٩٦١، الفتوة عند العرب/ عمر دسوقي ص٢٧٢ وما بعدها.

(٢) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص١١.

(٣) الفتوحات المكية ج٢٢ ص٥٨.

(٤) نفس المصدر، ج٢٢ ص٥٩.

أما بالبسالة فالمذكورين من صعاليك العرب فمنهم الذين فدوا اضيافهم والمستجيرين بهم بأنفسهم حتى أن فيهم من خرج به فعله إلى سخف أو جنون[1].

أن العرب تعني بالفتوة الشجاعة والإيثار والسخاء والوفاء، وكثيراً من الصفات الحميدة. والفتى عندهم هو السيد الذي نال السؤدد والشرف بأخلاقه الكريمة وأفعاله العظيمة، يقال: هذا فتى الحي أي سيده والكامل الجزل من رجاله، قال الشاعر ابن اهبان الفَقْعَسي يرثى أخاه:

فتى الحي أن تلقاه في الحي أو يُرى

سوى الحي أو ضمَّ الرجال المشاهُد[2].

فالحرية والكرم والسعي في أمور الناس وقضاء حاجتهم وإظهار النعمة وأسرار المحنة وأن ينصف المرء غيره وينكر نفسه كل هذه صفات الرجولة الكاملة.

وهنالك علاقة وطيدة بين المروءة والفتوة فالمروءة تقتصر على الرجل في نفسه وذويه، والفتوة تتعداه إلى غيره.

فإذا احتمل مغارم الناس وتحمل المشاق في ارضائهم ولم يضن بما أحل الله له وحرمه على من سواه فهو الفتى الذي اشتهر بالقدرة عليها وعرف بالحلم والعفو والرزانة والاحتمال[3].

وفيما يلي آراء بعض العلماء في الفتوة:

يقول القشيري:

أصل الفتوة أن يكون العبد ابداً في أمر غيره[4].

---

(١) الجماهر في معرفة الجواهر ص١١، الفتوة عند العرب /عمر دسوقي ص١٦.

(٢) الفتوة عند العرب/ عمر دسوقي ص١٣.

(٣) الجماهر في معرفة الجواهر ص١٠.

(٤) الرسالة القشيرية ص١٧٦.

ويقول علي بن أبي بكر الأهوازي: " ان أصل الفتوة ألاّ ترى لنفسك فضلاً واحداً"[1].

ويقول معروف الكرخي: للفتيان علاماتٌ ثلاث، وفاء بلا خوف، ومدح بلا جُود، وعطاءٌ بلا سُؤال[2]

ويقول رُوَيْمُ: ان تعذر اخوانك في زلاتهم ولا تعاملهم بما تحتاج ان تعتذر منه[3].

ويقول شاه :

الفتوة من طباع الاحرار، واللُوم من شيم الانذال، وما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله بما يحبون[4].

ويقول البلخي: الفتوة حفظ السر مع الله على الموافقة، وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة واستعمال الخلق.

وقال آخرون: الفتوة اتباع المكارم واجتناب المحارم[5].

وقال بعضهم: الفتى من يعاشر الناس بحيث إذا غاب حنوا إليه، وإذا حضر أقبلوا عليه، وإذا مات بكو عليه.

كما قيل أن الفتوة حسن الخلق وترك التمييز في العطاء، وأن تستر عدوك كما تستر عيب نفسك[6].

---

(١)الملامتية و الصوفية و اهل الفتوة ،ص٦٦

(٢) طبقات الصوفية / السلمى ص٨٩.

(٣)نفس المصدر السابق ص١٩٣

(٤)نفس المصدر السابق ـ السلمى ص١٩٣

(٥) الفتوة / ابن المعمار ص١٥٦

(٦) نفس المصدر السابق ص١٥٥

وقد تغنّى الشَعَراءُ بأخلاق الفتيان الأماجد وفضائلهم، وكيف أن هذا المجتمع البدائي كان فيه من التراحم والتعاون والأخذ بيد الضعيف والمنكوب والمكروب ما تتضاءل أمامه أرقى مجتمعاتنا التي طغت عليها المادية اليوم[1].

والدليل على ذلك قول الشاعر:

إن الفتى حمَّـالُ كـل مُلِمَّةٍ

ليس الفتـى بمُنَعَّـم الصبيـان[2]

وقال عنترة بن شداد:

مَوتُ الفتى في عزَّةٍ خيرٌ له

من أن يَبيتَ أسيرَ طرفٍ أكحلِ[3]

وهذا امرؤ القيس يقول في طريف بن مالك وقد أكرمه وأحسن إليه:

لَنِعمَ الفتى تَعشُو إلى ضَوءِ نارَهُ

طريف بن مالكَ لَيْلَةَ الجوْعُ والْخَصَرْ[4]

وهذا قيس بن منقذ المعروف بأن الحدادية حين حاصره جمع من مزينة كانوا مغيرين للغنيمة ممن يجدون منه غرة، فطلبوا منه أن يستأسر ليتخذوه غنيمة، فأبى مرتجزاً هذه الأبيات:

أنا إذا الموت ينال غاليه

مختلط اسفله بعاليه

ومن أشعار الخنساء ترثي أخاها صخر:

---

(١) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص٩

(٢) نفس المصدر السابق ص١٣

(٣) ديوان عنترة بن شداد ص١١٢

(٤) ديوان امرؤ القيس ص٣١٨ (الخصر: شدة البرد)

هو الفتى الكاملُ الحامي حقيقته

مأوى العريك إذا ما جاء منتاباً

ألا تبكيان الجريء الجميل

ألا تبكيان الفتى السيدا

رهينٌ بلىً وكل فتى سيبلى

فأذري الدمع بالسكب الجود

يا عينُ فابكي فتىً محصناً ضرائبهُ

صعباً مراقبه سهلاً إذا ريدا

على صخر وأي فتى كصخر

لعانٍ عائل غلقٍ يوتر

فشأن المنايا إذ أصابكَ ريبُها

لتغدو على الفتيان بعدك أو تسري

نِعمُ الفتى كنتَ إذ حنّتْ مرفرفةً

هُوجُ الرياحِ حنين الوُلّهِ والحور

فقد اصبحتُ بعدَ فتى سُليمٍ

أُفرّجُ هَمّ صدري بالقريض[1]

قد يعلم الفتيان أني صاليه

إذا الحديد رفعت عواليه[2]

وقد ورد في مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار التي كتبها الدكتور مصطفى جواد أن "الفتوة" في اللغة صفة الفتى اشتقت منه كالرجولّة من الرجل، والأبوة من الأب،

---

(١) ديوان الخنساء ص ١١، ٣١، ٤٠، ٤٢، ٤٧، ٥٤، ٦٣، ٧١، ٩٤.

(٢) شعراء الصعاليك ص٢٦٨.

والأمومة من الأم، والأخوة من الأخ، والأنوثة من الأنثى، والفتى في اللغة هو الشاب الحدث واستعيرت الفتوة منذ أيام الجاهلية للشجاعة قال متمم بن نويره:

إذا القوم قالوا من فتى لعظيمة

فما كلهم يدعي ولكنه الفتى

فكان الفتى العربي يقتحم الخطوب بقلب ثابت وشجاعة بالغة المدى، واثقاً من شجاعته وبأسه ودُربته وحنكتهُ.

إذا خام أقوامٌ تقحمتُ غَمرةً

يهابُ حُمَيَّاها الألَدّ المداعِسَ

لعُمر أبيــكَ الخير إنـي لخــادم

لضيفي وإني ان ركبت لفارس

وإني لأشرّي الحمْدَ أبغي رَبَاحه

وأترك قرْني وهو خزيان ناعس[1]

وقال طرفه بن العبد:

إذا القوم قالوا من (فتى) خلت أنني

عنيت فلم أكســل ولـم أتبـلد

وقال أيضاً:

على موطن يخشى (الفتى) عنده الردى

متى تعترك فيه الفرائض ترعد[2].

وقال آخر:

---

(١) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص٣٦.

خام: جبن الألد: الشديد الخصومة الغمرة : الشدة

المداعس: الطعن حيا : الشدة القرن: الند

(٢) مجلة الرسالة ، العدد ٧٨٢ ص٧٢٣.

إن الفتى من يقول ها أنا ذا

ليس الفتى من يقول كان أبي[١].

وشاعر آخر يقول:

وليس فتى الفتيان من راح واغتدى

لشرب صبوح أو لشرب غبوق

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى

لضـر عـدوٍ أو لنفـع صـديـق[٢].

ويرى الدكتور أحمد أمين إلى وجود علاقة كبيرة، ولو علاقة تناقض بين الفتوة والصعلكة، فكلاهما تؤدي معنى انسانياً؛ وإن كانت كلمة "الفتيان" تدل على أولاد الذوات وكلمة الصعاليك تدل على أولاد الفقراء[٣].

ويخلص الدكتور أحمد أمين إلى أن في الحياة الجاهلية البدوية نوعين متميزين من الشبان، ابناء الذوات يجتمعون ويتخذون لهم مكاناً مختاراً ويعيشون عيشة اباحية فيها خمر وغناء ونساء وهم مع ذلك كرام يضيفونَ من نزل بهم ويغدقون عليهم خيرهم وتقابلهم طائفة أخرى من ابناء الفقراء يسمون الصعاليك يشاركونهم في الكرم ويخالفونهم بأن حياتهم ليست حياة دعة واستمتاع، ولكن حياة غزو وسلب ونهب[٤].

بل ربما تنعقد اواصر الفتوة بين جماعة لمناسبة من المناسبات كغربة أو نحو ذلك فتشتد بينهم الصداقة ويَتَعَاوَنُونَ على السراء والضراء، وأن لم تجمعهم جامعة من قبل كالذي حكي أن رجلين من بني أسد خرجا إلى أصبهان فآخيا دهقانا بها، وتعاقدوا جميعاً

---

(١) مجلة الرسالة، العدد ٧٨٢ ص ٧٢٤.

(٢)الجماهر في معرفة الجواهر ص١١

(٣) مقدمة كتاب الصعلكة والفتوة في الإسلام ص٦.

(٤) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص٢١.

على أن يكونوا فتية صدق يضمن أحدهم للآخرين ما يحتاجون إليه، فمات احدى بني أسد في موضع يقال له راوند، فظل هو والدهقان ينادمان قبره، ثم مات الدهقان فبقي الأسدي ينادم قبريهما[1].

فقد اشتهر فتيان العرب بالصدق والشجاعة. وحماية الضعيف قانون طبيعي للفتيان لأنهم يشعرون بقوتهم الجسمية، وقد تأخذ في نفوسهم صفة البذل والتضحية وهي تتطلب منه أن يتصف بكل صفات الفتوة الأخرى.

فالفتى إذا وعد عدوه المنهزم وعداً وَفِيّ به له كأن يكف عنه حتى يشرب أو حتى يتناول رمحه أو سيفه، فلا تغلبه شهوة النصر لضرب الضعيف أو الاعزل، بل يَعدُ ذلك نذالة وخِسَّة وزراية بشجاعته[2].

فهذا حال الفتوة ومقاسها وأصحابها يسَمّون الفتيان، وهم الذين حازوا مكارم الأخلاق أجمعها، فالفتيان أهلُ علم وافر.

فمن ادعى الفتوة وليس عنده علم فدعواه كاذبة[3].

ثم تطورت الفتوة على مر الأزمان حتى صارت تقام لها الاقامات والحفلات ولها الشعارات والطقوس ولباس خاص بها واصبح للفتيان صفات واحوال وعادات وأخلاق يمتازون بها.

كما كان لها الفاظ يصطلح على استعمالها بين الفتيان وهو ما يعرف في وقتنا الحاضر بكلمة السّر مثل البيت، النسبة، الحزب الكبير، الجد، الزعيم، الرفيق، النقيب إلى آخر ذلك[4].

---

(١) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص٦٠.

(٢) الفتوة عند العرب/ عمر دسوقي ص٥٧.

(٣) الفتوحات الكية – السفر الرابع، الجزء الثاني والعشرون ص٥٥.

(٤)الفتوة إبن المعمار/ ص١٩٠

أما مبدأ الفتوة ومنشؤها، فسيدنا ابراهيم عليه السلام هو أبو الفتيان حيث كسر الأصنام واعرض عن الأنام وجاد بنفسه للنار إيثاراً للحق[٤].

وبعد فهذه الفتوة العربية في صورتها الأولى أيام كان العرب أميين لا يقرؤون ولا يكتبون وليس لهم حكومة منظمة أو رئيس واحد يدينون له بالطاعة ولا يعرفون قانوناً سماوياً أو وضعياً، وليس لهم من هادٍ سوى فطرتهم السليمة وما توحي به تلك الطبيعة القاسية التي تحيط بهم، وما تعرض عليهم صحراؤهم من عادات وطباع.

لقد جعلتهم هذه الأخلاق الكريمة التي دأبوا على التطبع بها قروناً قبل الإسلام حتى تمكنت من نفوسهم وأحلوها محل الشريعة ودانوا لها جميعاً.

لقد كانت هذه الفتوة العربية التي نشأت فطرية في الجاهلية نموذجاً حياً للعالم وجاء الإسلام فأقرها وهذبها[١].

(١) قصة سيدنا إبراهيم مع أصحاب الأصنام، قال تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَٰهِيمُ﴾ وهي الاية٦٠/ سورة الأنبياء.

(٢) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص١٣٢.

شروط الفتوة

يشترط لصحة الفتوة ستة خصال: الذكورية، البلوغ، العقل، الدين، استقامة الحال، الأصل والمروءة.

١- الذكورية: الفتوة صفة شرف وكمال، والرجال قوامون على النساء، فاستحقوا الاختصاص بالفتوة دون النساء، لأن الأنثى ليست من أهل الفتوة ولا تصح فتوتها؟

٢- البلوغ: كمال البنية، واستثارة العقل وكمال التصرف.

٣- العقل: طريق في درك المعلومات، والآلة لنا في اتقان المصنوعات، والتهدي إلى الخير، وتمييزه عن الشر والكف عنه.

٤- الدين: فالدين أصل والفتوة فرع، ولا فتوة لمن لا دين له، وأن الفتوة خصلة من خصال الدين، ولا تخالف الشريعة.

٥- استقامة الحال: أن يكون الفتى على صفة مرضية، كأن لا يكون مخنثاً ولا خنثي.

٦- المروءة: فاذا كان الفتى لا مروءة له لا يبالي بأي حال من الأحوال بما يصنع، ولا يستحي من فعل القبائح، ومن اتصف بهذه الصفات تصح فتوته.

وهناك بعض الفضائل والمكارم اتصف بها الفتيان ونعتبر من الشروط المكملة لشرائط الفتوة مثل اغاثة الملهوف، قري الضيف، اعانة الاخوان، بث الاحسان، صلة الأرحام، كف الأذى، طاعة الرحمن[1].

(١) الفتوة/ ابن المعمار ص١٦٣ وما بعدها.

طقوس الفتوة وعاداتها

طقوس الفتوة:

للفتوة نظام ولباس وعادات خاصة بها. فقد أصبح للفتوة مجموعة من الرسوم لم يَجلُ بعد عن مصدرها بوضوح؛ فكان يستقبل الفتى في نقابة الفتوة بشد خصره بفوطه أو بحزم وبإلباسة لباس الفتوة الذي يمتاز بالسراويل ويسقيه في كأس الفتوة الماء المشوب بالملح[1].

إن الاستقبال في النقابه كان يجري بنظام خاص فهو يتألف من الشد، والشرب من كأس الفتوة الملأى بالماء المالح، ولبس لباس الفتوة الذي كان أهم ما يميزه "السراويل" وصفه الشرب، والتكميل وطريقة التنصيب، فالاستقبال يجري على مرحلتين ففي المرحلة الأولى يتم الشد وبه يصبح الطالب مريداً وفي المرحلة الثانية تسمى "التكميل" ويستطيع المريد المشدود أن يلبس لباس الفتوة بعد مروره بهاتين المرحلتين[2].

الشرب قبل الشد:

الشرب من سنن الفتيان وهو طريقة تجمع الرفاق لينسبوا إلى كبرائهم، ويحصل به تعارف الأحزاب والألفة والمودة بين الاخوان؛ وهذا يتم قبل الشد بمنزلة اليمين في النكاح قبل العقد، وشرعيته بعد العهد والمداومة عليه حسنة ليتجدد عهد الفتوة به وصلة الابن الكبيرة[3].

وصفة الشرب أن يبدأ بزعيم، ويختم بمقدم وأن يكون القدح فيه الماء والملح.

ويكره أن يتم الشرب في كأس تشرب في مثلها الخمر، ويستحب أن يتناول القدح بيمينه[4].

---

(١) المنتقى من دراسات المستشرقين ص ١٨٩.

(٢) نفس المصدر ص١٩٦.

(٣) الفتوة / ابن المعمار ص٢١٤.

(٤) نفس المصدر ص٢٣٨.

وكان الفتيان يشربون في حال التفتيه (الدخول في الفتوة) ماءاً مشوباً بالملح، لأن الملح من المواد المقدسة، فهو يصلح كل ما فسد، ويستعمل في أكثر الأغذية والأطعمة وله فوائد أخرى، والحكمة من شربه ممزوجاً بالماء، أن الماء عذب، والملوحة ضد العذوبة، فكأن فيه إشارة إلى أن الفتى ينبغي أن يصبر على البأساء والضراء، ويشكر على النعماء[1]. والطريق الجاري عليه أمرهم أنه إذا أراد أحدهم أخذ الطريق عن كبير من كبراء هذه الطائفة، اجتمع من أهلها من تيسر جمعه ويتقدم الكبير فيلبس ذلك "المريد" ثياباً ثم يوضع في كأس ماء وملح ويخلط ثم يسقى منه[2].

أما شعار الفتوة فهي السراويل المنقوش عليها صورة الكأس أو سراويل الفتوة أو صورة كلتيهما، فيتخذ الفتى هذه الصورة رمزاً إلى أنه من الفتيان.

وإذا رغب امرؤ في التفتي فتقام له إقامة يشهدها الفتيان، فيلبس سراويل الفتوة ويشرب كأس الفتوة[3].

ملابس الفتوة: هي عباره عن سراويل وحزام يشد به خصر الفتى عند تفتيه ودخوله في الفتوة ويقيمون لذلك شروطاً وآداباً جارية بينهم، وسوف نشير إلى الطريقة التي يتم بها تنصيب الفتى والباسه لباس الفتوة في مكان آخر من هذا الفصل.

الشد والتكميل: الشد مبدأ العهد وانعقاده وسبب دخوله في الفتوة.

والتكميل: تمام العهد وكماله، ومنزلة الشد والتكميل كالنكاح والدخول بالزوجه.

والمشدود: هو الذي يعطي أول ما يفتى شيئاً يشد به وسطه ليجربَ ويمتحن، ويكمَلَ بعد ذلك ولا فرق في الشد أن يكون بمنديل أو غير ذلك.

المكمل: هو الذي يعطي السراويل أو السلاح أما بعد الشد أو ابتداء صلاحيته لذلك[4].

---

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي / مجلد رقم ٥ ص٥٣ وما بعدها.

(٢) المنتقى من دراسات المستشرقين ص٢٠٢.

(٣) مجلة لغة العرب، مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية / المجلد الثامن ، الجزء الرابع ص٢٤٢.

(٤) الفتوة / ابن المعمار/ ص٢٠٧ وما بعدها.

طريقة التنصيب:

ثم يشرع النقيب ويقوم مسلماً على الجماعة والعادة شد وسطه خدمة للفتيان، وبعد ذلك يستأذن زعيم القوم والطالب والمطلوب ويبدأ بذكر فضل الفتوةويحث على الدخول فيها، وينبه الفتى على ما يندب إليه من فعل المكارم واجتناب المحارم، ثم يأمر الطالب أن يقوم ويأخذ بيده ويستنطقه لمن يريد من الجماعة ثم يقول يا معاشر الساده الحاضرين والفتيان المخلصين ان فلاناً ويثني عليه بما هو أهله ويسميه بأحسن ما يدعي ويطلب منهم أن يقبلوه رفيقاً لهم في الفتوة.

عندئذ يقوم الجماعة ويقول النقيب للمطلوب: أيها السيد فلان، إن هؤلاء السادة يسألونك أن تقبل فلانا رفيقاً في الفتوة، فيقول: السمع والطاعة ثم يقوم النقيب بشد وسطه بما يشد به ويلبسه السراويل جالساً، ويشده قائماً ويتولى الكبير شد العقد بيده، قائلاً هذا عهد الله بينكما على التمسك بشروط الفتوة، ثم يشرب[1].

والشرط في عقد الفتوة ينقسم إلى لاغٍ لا يجوز الوفاء به كالدخول في سفك الدماء بغير حق ونحوه، وإلى مستحسن في الشرع والعقل كالدخول مع الرفيق في تحمل المشاق والكلف من الديوان[2].

أما الشد واللبس والشرب فهي من سنن الفتيان.

عاداتها:

ومما يحكى عن عادات الفتوة أن جماعة من الفتيان زاروا فتى، فدعا غلامه ليقدم الأكل لهم، فأبطأ الغلام في التقديم فسأله الرجل، لمِ أبطأت، فقال الغلام كان على المائدة نمل فليس من الأدب تقديم المائدة إلى الفتيان والنمل عليها، ولم يكن من عادات الفتوة طرد النمل عن المائدة. فلبثت انتظر حتى تَركَ النملُ المائدة[3].

---

(١) الفتوة / ابن المعمار ص٢٣٦ وما بعدها.

(٢) نفس المصدر ص٢٠٩.

(٣) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص٥٦.

ومن ذلك ما حكوه إن شخصاً يدعي الفتوة خرج من نيسابور إلى بلدة خراسان، فكان في ضيافة رجل جماعة من الفتيان، فأكلوا الطعام مع بعض، فلما فرغوا خرجت جارية تصب الماء على أيديهم.فأبى الفتى النيسابوري أن تصب الجارية الماء على يديه قائلاً: "ليس من الفتوة أن تصب النساء الماء على أيدي الرجال"[1].

كما أن رياضة البندق[*] وسماع الغناء من عادات الفتيان، فقد كانوا يجتمعون بالحمامات ويحيون موائد الغناء والطرب والمسامره.

كما أنهم كانوا يخرجون في جماعات إلى ضواحي المدن ويقومون برمي البندق وتطيير الحمام[2].

---

(١) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص٥٦.

(*) البندق كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص وترمى بالقوس.

(٢) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص٢٤٥.

الفروسية

للفروسية عند الأمم من قديم الزمان شأن خطير ومقام كبير، فقد كان اليونانيون يقدسون فرسانهم وأبطالهم المشهورين، والرومان كانوا يباهون بفحول فرسانهم، وأيضاً للفرس عناية خاصة بالفروسية، ولهم فرسان معروفون[1].

وقد آن لنا للتعرف على الفروسية العربية وفلسفتها في الحياة وذلك بالتعرض لمعانيها، أخلاق الفارس وشروطها وتقاليدها.

معنى الفروسية: هي المهارة في ركوب الخيل والخبرة بشؤنها وهي رياضة عربية عريقة، عرفها العرب منذ القدم حيث كانت الصحراء العربية مكاناً لممارسة رياضية ركوب الخيل وأرضاً للمعارك بين المقاتلين الفرسان على ظهور جيادهم، عندما كانت الحروب تعتمد أساساً السيف والرمح وعندما كان الحصان أسرع وسيلة للتنقل.

والفروسية تظهر في ثلاثة أشياء هي:

١- ركوب الخيل والمسابقة عليها.

٢- رمي النشاب.

٣- اللعب بالرمح.

وأن يكون الفارس عارفاً بالدخول والخروج والطعن والضرب والاقدام والاحجام والاستداره والكر والفر وجميع الأمور التي يتطلبها الموقف أثناء المعارك[2].

وقد عرف العرب بحبهم للفروسية وشغفهم الشديد باقتناء الخيول وتربيتها والعناية بها، وكانت طبيعة بلادهم الجغرافية من العوامل التي جعلتهم في مقدمة الأمم التي تعتني بالفروسية والخيل وتربيتها وحفظ انسابها[3].

---

(١) الفروسية/ ابن الجوزي، مقدمة الكتاب.

(٢) نفس المصدر، ص١٨.

(٣) دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية ص٣٣.

ان الحياة في الصحراء عودته أن يعتمد على نفسه في الشدائد، وأن يُحمِلَّ نفسه تبعات ثقيلة فهو لا يعتمد على أحد أو ينتظر من سواه أن يبدأ العمل.

فكل فتى يعتقد أنه المسؤول عن شؤون نفسه وعشيرته وقبيلته في الحرب والرفد واكرام الضيف، وتحمل الديات وفض الخصومات[1].

فقد كان الفتى العربي يقتحم الخطوب بقلب ثبت وشجاعة بالغة المدى واثقاً من شجاعته وبأسه وحنكته في حَميًا القتال ويبغي من اقتحامه المكاره الحمد والصيت بين أبناء عشيرته.

إذا خام اقوامٌ تقحمتُ غَمْرةً

يهـــابُ حُمَيَاهَا الألَدُّ الُمداعِسَ

لعمرُ أبيكَ الخير إني لخـادم

لضيفي وإني إن ركبت لفارس

وإني لأشري الحَمدَ أبغي رَباحَه

وأتركِ قِرْني وهو خزيان ناعس[2].

ولم تكن البيئة الصحراوية وحدها هي التي اكسبتهم هذه الصفات الحميدة والشجاعة المثالية، ولكن كان للأمهات العربيات فضل كبير في تنشئة أولادَهُنَّ بحيث يكونوا طلاّب مجد ويتمتعون بشجاعة عالية، فالمرأةُ كانت تدرك أن هذه البيئة الوعرة وما يكتنفها من أخطار تهددها في كل حين، وتدرك أيضاً قيمة الفتى الشجاع عند القبيلة وأن هذه القبيلة تنتظره ليذود عنها ويدرأ أعداءَها ويكسب لها المجد والشرف بين القبائل. فلا يسبي نِسَاءَهَا أو يمتهن فتياتها أو يستذل شيوخها أو يهزم رجالها فقد كانت ترضعه من

---

(١) الفتوة عند العرب/ عمر الدسوقي ص٣٠.

(٢) نفس المصدر ص٣٦.

لبنها صفات المجد وطلب السؤدد، فينشأ والرجولة ملءُ أهابه، والعزة تفيض من فؤاده والأنفة من الصغائر[1].

والحقيقة أن الفتى العربي كان في شجاعته واستهتاره بالموت وعدم مبالاته منقطع النظير، فلو رأيته وقد حَمِى الوطيس يصول ويجول ويقتحم غمرات الموت ويتحدى المنايا في جرأة وقوة ، فقول الشاعر يدل على ذلك[2].

فإنك لو رأيت الخيل تعـدو

عوابسَ يتخذن النقْع ذيلاً

رأيتَ على متون الخيل جِناً

تفيد مغـانمـا وتفيد نيـلا

فالرأي العام يمتدح الشجاع القوي الذي يلبي النداء إذا دعي للنجدة أو كانت قبيلته أو عشيرته في محنة.

فهذه الفروسية العربية كرم وشجاعة وتعاون واغاثة للملهوف وتعفف عن الدنايا وحَميَّة وأخذ للثأر وحفظ للأمانة ووفاء وعهد وصدق وحلم.

ولعلك تتخيل فرسان العرب وهم في سلاحهم هذا:

قومٌ إذا لبسوا الحديد كأنهم

في البَيضْ والحلق الدلاّص نجوم[3].

وأوردُ بعض أبيات من الشعر من رثاء الخنساء لأخيها صخر تفوح منها معاني الفروسية.

فارس يضرب الكتيبة بالسيف

إذا أردف العويل الصياحا

---

(1) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية/ عمر دسوقي ص٣٧ وما بعدها.

(2) نفس المصدر ص٤٠ ، ٥٢.

(3) نفس المصدر ص٤٨.

فارس الحرب والمصمم فيها

مدرهُ الحرب(*) حين يلقي نطاحا

ومن لِطَعنه حِلْسٍ(*) أو لِهاتفةٍ

يوم الصِّياحِ بفُرسانٍ مغاويرِ

ببيض الصّفاح وسُمْرِ الرماح

فبالبيضِ ضَرْباً وبالسُّمرِ وخْزا

وخيل تُكدّسُ بالدّارعين

وتحتَ العجاجةِ يجمِزن جمزا(*)

جززْنا نواصيَ فُرسانِها

وكانوا يظنّونَ أن لا تُجزّا

ومن ظنّ ممّنْ يُلاقي الحروبَ

بأن لا يُصابَ فقد ظنَّ عجزا

ونلبس في الحرْبَ نِسْجَ الحديد

ونسحبُ في السلم خزّاً وقزّا

فكم من فارسٍ لك أُمّ عمروٍ

يحوط سنانُه الأُنس الحريدا(*)

مُتحزِّماً بالسيف يركبُ

رُمحُه حالاً فحالاً

(*) مدرة الحرب: زعيم القوم وسيدهم.

(*) الحلس: من كان ذا شدة وعزة.

الهاتفة: المستجيرة.

(*) العجاجة: الغبار — جمزاً: أسرع.

(*) الأنس: الجماعة — الحريد: البعيد المعتزل كل قليل في كثير.

تُروي سِنانَ الرّمْحِ طعنَتُه

والخيلُ قد خاضَتْ دماً يجْري[1]

فهذه هي الشجاعة العربية التي تحلى بها فتيانهم وكان من أبرز صفاتهم شجاعة فيها قوة، وتحدي للمنية، وفيها دربةٌ وتفوق في استعمال الأسلحة وفيها إنسانية وكرم وإنصاف للأعداء ووفاء للوعد[2].

ولم تقتصر عناية العرب بالخيول وتربيتها وتحسين نسلها، كونها من أهم وسائل القتال والحرب والصيد ومن قديم مَجّد العرب الخيل وأكرموها واعتنوا بتربيتها، واليهم تنتسب الخيول العربية.

وقد حظيت الخيول بمكانة رفيعة وعناية فائقة واهتمام كبير، وكانت رفيقة درب لهؤلاء القادة الفرسان الذين سطروا على مدى التاريخ صفحات تشرق بالبطولة، وعليها خاضوا معارك المجد والشرف واحتلت مكان الصدارة في نفوسهم مما أدي إلى المغالاة. في حبها وتقديمها على الأهل والولد ، والاعتزاز بها والتنافس في اقتنائها.

فلما نشطت حركة التأليف قام العلماء واللغويون بوضع الكتب في الخيل والفروسية تصف طرق اللعب بالرمح والسيف والدبوس والبرجاس والمسابقة والمصادمة والطعن، والمطارحة، وتدريب الفرسان والكر والفر والمبارزة، أساليب القتال، أمراض الخيل، وسياستها وعلاجها إلى آخر الأمور المتعلقة بذلك.

فقد كان على كل عربي أن ينشئ أبناءه على ركوب الخيل وتعليمه وسائل القتال ومقتضيات الفروسية.

وقد حفظها الشعر كما حفظها الاخباريون وسجلها المؤرخون والعارفون بالأيام وأصحاب الطبقات[3].

---

(١) ديوان الخنساء ص٢٨، ٣٢، ٦٠، ٦٩، ٨٧، ١٢٠.

(٢) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية / عمر دسوقي ص٤٨.

(٣) مجلة المجلة، العدد ٣٣، ص٢٠.

كما أقاموا لها الحلائب[*] لاجراء المسابقات والقيام بألعاب الفروسية والميدان، فكان العرب في الجاهلية يتسابقون بخيولهم ويتفاخرون بذلك وكانوا يرسلون خيولهم إلى الحلبة على شكل مجموعات كل مجموعة عشرة عشرة ، وكثيراً ما نشبت الحروب بين القبائل نتيجة المسابقات[1].

(*) الحلائب: جمع حلبه، " انظر عقالة ميادين السباق في سامراء " في مجلة الأقلام العراقية العدد ٣ الصادرة عام ١٩٦٤م.

(١) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية ص٣٣، مجلة الأقلام (مجلة فكرية عامة صادرة في بغداد) العدد ٣ ص١٠٣.

اخلاقيات الفارس

أبرز أخلاق الفارس هي ارتباطه بقومه وإحساسه القوي المستمر بتبعاته نحوهم وعمله الدائب في سبيلهم، والذود عن حماهم والدفاع عنهم ضد أعدائهم، وهذا الارتباط بين الفردوالعشيرة هو حجر الزاوية في شخصيته وسلوكه وثقافته وافعاله.

وكان الفارس العربي إذا وعد عدوه المهزوم وعداً وفَىٌ به، كأن يتركه حتى يشرب الماء إذا عطش وهو في ساحة القتال أو أن يتناول رمحه إذا سقط منه، فلا تغلبه شهوة النصر لضرب الضعيف أو الاعزل، بل يعد ذلك نذالة وخسّةً ويحذرهم من الخمول والاستكانة إلى اللهو والجلوس عند النساء، ويصف كيف يقوم الفتى بشؤون قومه، فهو يتعهد ضيوف الحي، ويفرج الكرب، ويهرعُ للمعضلات.

يلقى السيوفَ بوجهه وبنحره

ويقيمُ هامَته مقام المغْفَرِ[1].

ويقيت الفروسية مع الشعب العربي تُسايُر اتساع القبيلة إلى القومية، وحافظت على خلائقها ورسومها وتقاليدها في الإباء والنجدة والعفة والكرم[2].

شروط الفروسية:

للفروسية شروط والتي يقضي بها العرف فهي عشرة[3]:

أولها: التقوى.

وثانيها: الشجاعة.

وثالثها: رقة الخلال.

ورابعها: القوة.

---

(١) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية ص٨٩ (والمغفر: الخوذة).

(٢) مجلة المجلة ، العدد ٣٣ ص٢٢.

(٣) دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية ص٣٤، مجلة الهلال، جزء ٦ ص١٠٧١.

وخامسها: هبة الشعر.

وسادسها: الفصاحة.

وسابعها: المهارة في ركوب الخيل.

وثامنها: أعمال السيف.

وتاسعها: استعمال الرمح.

وعاشرها: استعمال القوس.

القيم المشتركة بين الفتوة والفروسية

من خلال دراستي للفتوة والفروسية تبين لي بأن هناك قيم مشتركة بين الطرفين وهذه القيم تتمثل بالشجاعة والمروءة، فنجد أن الشباب العربي طبع على حياة الفروسية وأخلاق الفتوة، فهذا الشباب يجمع بينهما. وبهذا نرى أن الشجاعة سمه من سمات الفارس، كما أنها من صفات الفتى.

فقد كان الفتى العربي يقتحم الخطوب بقلب ثبت وشجاعة بالغة المدى، واثقاً من شجاعته وبأسه[1].

ومن هنا نجد أن كتاب " الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية" لمؤلفه عمر دسوقي لهو دليل على هذا الترابط الوثيق بين الفروسية والفتوة ووجود قيم مشتركة بينهما فكلاهما يؤدي نفس المعنى. ومن خلال تعرضي لتعريفات الفتوة بأنها تعني الشاب الشهم النبيل الشجاع[2].

ويرى الدكتور أحمد أمين في كتابه الصعلكة والفتوة في الإسلام، ان كلمة الفتوة استعملت للدلالة على أربع معاني، أحد هذه المعاني أن كلمة " الفتوة تعني الفروسية المنظمة"[3].

والمروءة احدى الصفات التي تتصف بها الفتوة والفروسية في آن واحد، ونجد قصصاً كثيرة عن المروءة مثل قصة زيد الخيل والمهلهل وقصة عنترة بن شداد العبسي إلا نوعاً من أنواع البطولة مملوءة بالفروسية[4].

كما أن هناك أموراً أخرى تجمع بين الطرفين وتتمثل بالكرم، فهي سمه من سمات الفتوة فقلما يكون الكريم غير شجاع، إذ أن الشجاعة والكرم صفتان متلازمتان.

فالشجاع يقدم على الخطر مضحياً بقوته بل بنفسه والكريم يضحي بماله، والنفس والمال أغلى ما يحرص عليهما الانسان ونجد أن الشعراء قد تغنوا بهاتين الخلتين، فانظر

---

(١) الفتوة عند العرب أو احاديث الفروسية ص٣٦.

(٢) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص٨٩.

(٣) نفس المصدر ص٥٩.

(٤) نفس المصدر ص١٠٧.

إلى هذا الشاعر الذي يصف الكرم والشجاعة معاً.

يلقى السيوفَ بوجهــه وبنحره

ويقيمُ هَـامَتَه مقــام المغْفـرَ

وإذا تأمَّل شخص ضَيْفٍ مُقْبلٍ

مُتسربـلٍ أثواب عيشٍ أغبر

أومــا إلى الكَومـاء هذا طـارق

نحرتني الاعداءُ إن لم تُنحري

وقصة حاتم الطائي في التاريخ العربي مع أولاده وقد تم التعرض لها دليل على هذه الصفات[1].

كما أن الفرس تجد الاهتمام من الفارس والفتى لأنها رفيق دربهما، ولا يستطيعا الاستغناء عنها ، فهي عمادهما في القتال.

أقيه بنفسي في الحروب وأتقي

بهاديه[2] إني للخليل وصول

فهذا الفتى يرى في الجواد خليلاً له[3].

فالفتى في عرف المجتمع الجاهلي هو الذي تتجسد فيه الصفات التي تتطلبها على أتم وجه كالفروسيه والشهامة والشجاعة والمروءة والكرم والنجدة[4].

ومن خلال هذا العرض الموجز نجد الترابط بين الفتوة والفروسية فكلاهما تكمِّل الأخرى.

والدليل أن بعض الباحثين الأوروبيين اطلقوا على الفتوة اسم " نظام الفروسية العربية".

---

(١) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية ص٨٨، ٨٩. " الكوماء: الناقة السمينة".

(٢) هادي الفرس: صدره وعنقه.

(٣)المصدر السابق ص٤٣.

(٤) حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي العدد ٤٥ ص١٣٨ ((سلسلة عالم المعرفة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت)) .

الفصل الثاني

وجه الفتوة الديني

١- الفتوة الإسلامية.

٢- المصادر الكتابية للفتوة.

٣- ابراهيم الفتى (منشئ الفتوة) عليه السلام.

٤- حديث فتيان أهل الكهف في القرآن الكريم.

٥- حديث فتى سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم.

٦- سيد الفتيان عليه الصلاة والسلام.

٧- علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

٨- الفتوة جزء من التصوف (الفتوة الصوفية).

٩- تحليل لباب الفتوة الوارد في الرسالة القيشرية / السلمي، وفصل الفتوة من كتاب الفتوحات المكية / ابن عربي.

١٠- نماذج من المتصوفين.

الفتوة الإسلامية

عندما جاء الإسلام هذب معاني الفتوة الجاهلية وأسبغ عليها من هديه ورونقه، ثم تطورت هذه الفتوة حتى صارت وقفاً على طبقه خاصة من الناس لهم تقاليدهم وتعاليمهم وزيهم الخاص بهم[1].

فوجدنا القرآن الكريم يستعمل كلمة " فتى" وصفاً لسيدنا ابراهيم عليه السلام قال تعالى:﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾[2].

ورأيناه يستعمله وصفاً لأهل الكهف قال تعالى:﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾[3] ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾[4].

وقد فسرت في كلا الموضعين بالشباب، وجاء الإسلام أيضاً باستعمال خاص لكلمة (فتى) ذلك أنه لم يرض أن يسمى الرفيق المملوك عبد فلان وأمة فلان وكره العبودية تضاف لغير الله[5].

فأختار لها اسماً محبوباً وهو الفتى والفتاه وجاء في الحديث (لا يقولن أحدهم عبدي وأمتي ولكن ليقل فتاي وفتاتي)[6].

وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾[7] ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴾[8]. وفي فترة صدر الاسلام انتقلت هذه المثل العليا بعد أن

---

(١) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص٩.

(٢) سورة الأنبياء / آية ٦٠.

(٣) سورة الكهف / آية ١٣.

(٤) سورة الكهف / آية ١٠.

(٥) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص٤٩.

(٦)كتاب الصمت وآداب اللّسان / ص٤٢٥ (حديث رقم ٣٦٤).

(٧) سورة الكهف / آية ٦٠.

(٨) سورة النور / آية ٣٣.

طعمت بالمثل والفضائل التي جاءت بها العقيدة الإسلامية فاتسعت معانيها وتبلورت في مدلول جديد قوامه المثل الديني والشعبي للامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه " فتى الفتيان ".

والإسلام يحب الفتوة بمختلف معانيها المقبولة والمصقولة، فهو يحب الفتوة في البدن لأنه دين القوة حساً ومعنى، ويحبها في الخلق لأنه دين مكارم الأخلاق، ويحبها في معاونة الناس لأن خير الناس عنده أنفعهم للناس بل يجب أن تكون المعونة من ذوي الفتوة.

ومن هنا جاء الحديث في الأضحية يقول:

" جذعه أحب إلى الله من هرمه الله احق بالفتاء والكرم "[1].

فقد اشتهر الاسلام بأنه دين الفطره، والفطره هي الخير، والخير هو الغاية التي تهدف لها الانسانية الكاملة، ولما كان العرب في الجاهلية على الفطرة، فقد جاء الإسلام مهذباً ومكملاً وموجهاً لهذه الفطرة العربية السليمة، حتى يعدّهم لرسالة جليلة وهي هداية العالم مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[2].

لقد كان الرسول صلوات الله عليه وسلامه من أشرف العرب وأمجدها بيتاً، وكان يعلم ما يتحلى به من خلق وما يشينهم من صفات، ويعلم أن العرب قد تعارفوا فيما بينهم على سجايا حميدة يحبونها ويتغنون بها وهي تلك الصفات الكريمة التي ذكرت آنفاً.

وكان الإسلام يشجع في تعاليمه الفتوة مثل اعطاء الفقير، ورفع الظلم عن المظلوم وإعلاء شأن المرأة والجنوح إلى السلم إذا جنح العدو إليه[3].

---

(١) حديث الفتوة في القرآن الكريم ص١٣٥.

(٢) آل عمران / آية ١١٠.

(٣) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص١٠٥.

فقد صار السادة في الجاهلية سادة في الإسلام، ووجدت أمامهم الفرصة لتتجلى مواهبهم الخلقية والعقلية في ميدان العشيرة والقبيلة، وفي بيئة أرحب من الصحراء المجدبه.

ولولا ما كانوا عليه من خلق عظيم زاده الإسلام بتعاليمه رقة، ووجهه إلى الصالح العام، لما رأيت منهم القادة الأفذاذ والسادة المحنكين والقضاة العدول والحكام القادرين ويبهرون العالم بالأسس التي وضعوها، والنماذج التي ضربوها فهي من وحي الفطرة وهداية الأخلاق وارشاد الدين.

لقد انضجتهم الصحراء وهيأتهم للقيادة والسيادة والحكم.

فلما جاء الإسلام اتاح لهم الفرصة ليعملوا ولتظهر مزاياهم على حقيقتها[1].

لقد اتصف فتيان العرب في الجاهلية بكثير من خلال الخير ومكارم الأخلاق، وكانوا قدوة لقومهم وزعماء لهم، ويروى عن الرسول الكريم قوله: " انما بُعثتُ لأتمّم مَكَارم الأخلاق"[2]. فالحديث الشريف يثبت أن عرب الجاهلية كان فيهم من يتحلى بهذه الصفات، وأن النبي عليه السلام قد جاء برسالته العظيمة ليتمم هذه المكارم الخلقية[3].

وجعل الإسلام الصفح عن الإساءة وكظم الغيظ واحتمال الأذى من أكبر الصفات التي يجازي عليها فقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4].

وأما حماية الضعيف واغاثة الملهوف والحرص على سعادة المرأة من الأمور التي حث عليها الاسلام ووعظ بها القرآن الكريم، وجعل ثواب العاملين بها عظيم.

---

(١) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص١٤٢.

(٢) كنز العمال/ جـ٣/ ص١٦/ حديث رقم ٥٢١٧ + السنن الكبرى للبيهقي/ جـ١٠/ ص١٩٢، اتحاف السادة المتقين بشرح علوم الدين جـ٦/ ص١٧١، مسند الشهاب جـ٢/ ص١٩٣ (حديث رقم ١١٦٥).

(٣) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص١٣٣.

(٤) سورة آل عمران / آية ١٣٣.

فالله تعالى يوصينا بكتابه:﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[1].

كما أن القرآن حث على الوفاء بالوعد بأكثر من موضع ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[2].

كما أننا نجد الإسلام قد هذب النجدة فلم تعد نُصرةَ المستغيث ظالماً أو مظلوماً ولكن تحولت إلى دفاع عن الدين وحرمة المبدأ والعقيدة ونشر ألوية العدل والحرية بين الناس ولم تعدُ النعرة القبلية والعصبية الجاهلية هي الحافز للجهاد، ولكن الدفاع عن الحق ونصرة الدين وسيادة المبدأ واعزاز العرب بإسلامهم ودينهم هي الغاية وهي الدافع والحافز[3].

كان هذا شأن العرب في حروبهم، شهامة وفتوة ونجده وغوث للضعيف ولو كان من أعدائهم ولما أسر كفار قريش في معركة بدر أوصى بهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم خيراً[4].

ان اخلاق الفتيان وتعاليم الفتوة تجلت في الإسلام ورجاله الأفذاذ وانها تحولت من مزايا فردية إلى مبادئ عامة تطالب بها الأمة، ولم يزدها الإسلام إلا جمالاً وكمالاً وتهذيباً[5].

---

(١) النساء / آية ٣٦.

(٢) البقرة / آية ١٧٧.

(٣) الفتوة عند العرب / عمر دسوقي ص١٤١.

(٤) نفس المصدر ص٣١٧.

(٥) نفس المصدر ص١٤٢.

وهذا أبو البلهاء عمير بن عامر يرثي يزيد بن مزيد الشيباني بهذه الأبيات:

نعم الفتى فَجَعتْ به إخوَانَهُ

يومَ البقيع حوادثُ الأيامِ

سَهْلُ الفِنَاء إذا حَلَلْتَ بِبَابهِ

طلقُ اليَدَيْنِ مؤدَّبُ الخدّامِ

وإذا رأيتَ صديقهُ وشقيقَهُ

لم تدرِ أيُّهما ذوُو الأرْحَامِ[1].

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي نجد أن كلمة الفتوة تستعمل للدلالة على المروءة من نبل وكرمٍ وشممٍ وعدم تكلف[2].

---

(١) وفيات الأعيان جـ٦/ ٣٤٠.

(٢) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص٥٣.

المصادر الكتابية للفتوة

اعتمدت الفتوة في مصادرها الرئيسية على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في الدرجة الأولى.

أ- القرآن الكريم:

فقد ورد ذكر الفتوة في عدة سور من القرآن الكريم، في سورة الكهف، الأنبياء، النساء، النور، يوسف.

سورة الكهف:

تتبعت المواطن التي وردت بها كلمة الفتوة في سورة الكهف فوجدتها أكثر من آية.

يقول الحق عز وجل في محكم كتابه عن أهل الكهف:﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾[2].

ويقول الحق العزيز في محكم كتابه :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾.[3].

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[4].

---

(١) سورة الكهف / آية ١٠.

(٢) سورة الكهف / الآيات من ١٣-١٦.

(٣) سورة الكهف / آية ٦٠.

(٤) سورة الكهف / آية ٦٤.

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾(1).

وسوف أتناول بالشرح والمناسبة التي نزلت بها هذه الآيات في موضع آخر من هذا الفصل وذلك أثناء الحديث عن قصة أهل الكهف وفتى سيدنا موسى عليه السلام.

سورة النساء:

ورد ذكر الفتوة في سورة النساء في آية واحدة، يقول الحق تبارك وتعالى في التنزيل الحميد:

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(2).

سورة الأنبياء:

ورد ذكر الفتوة في سورة الأنبياء في آية واحدة على لسان قوم ابراهيم عليه السلام: قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾(3).

سورة النور:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(4).

---

(1) سورة الكهف / آية ٦٢.

(2) سورة النساء / آية ٢٥.

(3) سورة الأنبياء / آية ٦٠.

(4) سورة النور / آية ٣٣.

سورة يوسف:

ورد ذكر الفتوة بأكثر من آية. قال تعالى:﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

وقال تعالى:﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

وقال تعالى:﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[3].

ب- السنة:ورد في السنة أخبار عن الفتوة والمختار منها ما رواه جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لفتيان أمتي عشر علامات ". قال يا رسول الله :"وهل لامتك فتيان؟ قال نعم، واين الفتوة الأولى من فتوة أمتي".

قال وما تلك العلامات يا رسول الله؟ قال الرسول: "صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الكذب، والرحمة لليتيم، وإعطاء السائل وبذل النائل، واكثار الصنائع، وقرى الضيف ورأسهن الحياء"[4].

وروى الفضل بن عياض[5] شيخ الفتيان رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبي حازم[6] عن سهل بن سعد الساعدي[7] قال: قال رسول الله صلى الله

---

(١) سورة يوسف / آية ٣٠.

(٢) سورة يوسف / آية ٣٦.

(٣) سورة يوسف / آية ٦٢.

(٤) الفتوة / لابن المعمار ص١٣٣.

(٥) الفضل بن عياض من تميم خرساني المنشأ، سمرقندي المولد من مشاهير الصوفية والعيار، كانت وفاته سنة ١٨٧هـ.

(٦) أبو حازم الأعرج التمار – سلمة بن دينار.

(٧) صحابي من أهل المدينة توفي سنة ٩١هـ الاعلام ج٣ ص١٤٣.

عليه وسلم " ليأتي على الناس زمان تعدم فيه الفتوة وتنقص فيه المروءة وتضيق فيه الأخلاق ويستغني الرجال بالرجال والنساء بالنساء فاذا كان ذلك فانتظروا العذاب صباحاً ومساءً "[1].

كما روي عن الرسول الكريم صلوات الله عليه أنه قال: " افتاكم عليّ "، فقال علي كرم الله وجهه: يا رسول وما الفتوة؟ فقال عليه السلام: " شرف يتشرف به أهل النجدة والسماح، وانت يا علي فتى وابن فتى وأخو فتى " فقال علي: يا رسول الله من أبي ومن أخي من الفتيان؟ فقال الرسول: أبوك ابراهيم خليل الرحمن، وأخوك أنا، وفتوتي من فتوة أبيك، وفتوتك مني وسلّم إليه سلاحه يوم غزوة حنين[2].

قال النبي صلى الله عليه وسلم:ما ندم من استشار ولا خاب من استخار[3] وقد أمر الله تبارك وتعالى نبيَّهُ بمشاورة من هو دونه في الرأي والحزم فقال:﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[4].

وسئل بعض الحكماء: أي الأمور أشد تأييداً للفتى وأيها أشد اضراراً به؟ فقال: اشدها تأييداً له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء وتجربة الأمور، وحسن التثبت، وأشدها اضراراً به ثلاثة أشياء: الاستبداد، والتهاون، والعجلة[5].

كما روي عن الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلي أبي موسى الأشعري " أما بعد فإن الخير كله في خلتين: الرضا، والفتوة، فإن لم تستطع الرضا فعليك بالفتوة وهي الصبر على المكاره، ألم تر إلى ابراهيم عليه السلام حين صبر على كل بلية،

---

(١) الفتوة / لابن المعمار ص١٣٣.

(٢) نفس المصدر ص١٣٤.

(٣) ورد الحديث على النحو التالي في المعجم الأوسط والصغير وكشف الخفا ((ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد)). المعجم الوسيط للطبراني/ جـ٥/ ص٧٧ (حديث رقم ٦٦٢٧) والمعجم الصغير/ جـ٢/ ص٧٨. وكشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس/ العجلوني/ جـ٢/ ص١٨٥ (حديث رقم ٢٢٠٥).

(٤) آل عمران / آية ١٥٩.

(٥) العقد الفريد ج٢ ص٢٤.

فصارت نعمة وعطية، وصبر على ألقائه في النار، فصارت برداً وسلاماً. وصبر على ذبح ولده ففداه الله بذبح عظيم. وصبر سيدنا يوسف عليه السلام على القائه بالجب والسجن، فنال ملكُ مصر، وقاله له اخوته: ﴿ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾[1].

(١) الطبري ١/ ١٨٤، الفتوة / لابن المعمار ص١٣٧، والآية ٩١ من سورة يوسف.

ابراهيم عليه السلام

أورد ابن المعمار في كتابه "الفتوة" بأن سيدنا ابراهيم هو مبدأ الفتوة ومنشأها، فابراهيم الخليل هو خليل الله وأبو الفتيان، حيث قام بكسر الأصنام واعرض عن الأنام، حين قال له جبرائيل عليه السلام: هل لك حاجة؟

وقد القوا به في النار، فقال سيدنا ابراهيم أما اليك فلا، وأما إلى الله فعلمه بحالي يغنيه ، فتولى الحق عز وجل قضاء حاجته بنفسه وكافأه على هذا الموقف فانزل قوله تعالى: ﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[1].

حين قام خليل الله بتكسير الأصنام في يوم عيدهم حتى أصبحت فتاتاً وعلق الفأس في عنق أكبر هذه الأصنام، وعندما رجعوا وشاهدوا آلهتهم وما حل بها،قال بعضهم لبعض من عمل هذا؟

فاحضروا سيدنا ابراهيم وقالوا له:﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[2]، فأجابهم بأن من فعل ذلك هو كبيرهم هذا.

وقال تعالى: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾[3].

ومدحه فقال:﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ ﴾[4].

ووصف أضيافه أنهم مكرمون فقال:﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾[5].

لما قام على خدمتهم بنفسه ولقيهم بوجه طلق.

ولم تزل الفتوة عنه تتصل بالأنبياء والصديقين حتى وصلت إلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وهو أفتى الفتيان[6].

---

(١) سورة الأنبياء / آية ٦٩.

(٢) سورة الأنبياء / آية ٦٢.

(٣) سورة الأنبياء / آية ٦٠.

(٤) سورة هود / آية ٧٥.

(٥) الذاريات / آية ٢٤ (ضيوف ابراهيم ملائكة قيل أن عددهم إثنا عشر، وقيل عشرة، وقيل ثلاثة منهم جبريل عليه السلام).

(٦) الفتوة / لابن المعمار ص١٤٠.

قال الله تعالى:﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾[1].

قال الزمخشري في تفسيره:﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ ﴾ يعني أن ذلك أعظم من قصة أهل الكهف[*]، وابقاء حياتهم مدة طويلة.

قال أمية ابن أبي الصلت:

وَلَيْسَ بهَا إلاّ الرُّقيمُ[*] مُجاوِراً

وصَيدَهُمْ والقوم في الكهف هُمّدُ[*]

وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم ووضع على باب الكهف، وقيل أن الناس رقموا حديثهم نقراً في الجبل.

وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف، وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين[2].

وقال القرطبي في تفسيره عندما سأل المشركين عن فتية فقدوا وعن ذي القرنين والروح، نزلت هذه الآية الكريمة على الرسول الكريم: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً، أي ليسوا بعجب من آياتنا، بل فيها ما هو أعجب من خبر أهل الكهف.

قال الكلبي: خلق السموات والأرض أعجبُ من خبرهم.

---

(١) سورة الكهف/ آية ٩.

(*) الكهف : الغار الواسع في الجبل.

(*) الرقيم : اسم كلب أهل الكهف.

(*) هامد : راقد.

(٢) الكشاف / تفسير سورة الكهف آية ٩.

وقال الضحاك: ما اطلعتك عليه من الغيب أعجب.

وقال الجنيد: شأنك في الإسراء أعجب.

وقال الماوردي: معنى الكلام النفي،أي ما حسبت لولا أخبارنا.

وقال أبو سهل: استفهام تقرير، أي حسبت ذلك فإنهم عجب.

والكهف: النقب المتسع في الجبل، وما لم يتسع فهو غار، وحكى النقاش عن انس بن مالك أنه قال: الكهف الجبل، واختلف الناس في الرقيم، فقال ابن عباس: كل شيء في القرآن أعلمه إلا أربعة: غِسْلين وحنان والأواة والرقيم.

وسئل مرة عن الرقيم فقال: زعم كعب أنها قرية خرجوا منها.

وقال مجاهد: الرقيم وادٍ.

وقال السدي: الرقيم الصخرة التي كانت على الكهف.

وقال ابن زيد: الرقيم كتاب غَمّ الله علينا أمره ولم يشرح لنا قصته.

وقالت فرقة: الرقيم كتاب في لوح من نُحاس.

وقال ابن عباس: في لوح من رصاص كتب فيه القوم الكفار الذين فرّ الفتية منهم قصتهم وجعلوها تاريخاً لهم، ذكروا وقت فقدهم، وكم كانوا واسمائهم.

وقال الفراء: الرقيم لوح من رصاص كتب فيه اسماؤهم وانسابهم ودينهم وممن هربوا.

قال ابن عطية: ويظهر من هذه الروايات انهم كانوا قوماً مؤرخين للحوادث.

وهذه الأقوال مأخوذة من الرقيم.

وروي عن سعيد بن جُبير قال: ذكر ابن عباس أصحاب الكهف فقال: إن الفتية فُقِدوا فطلبهم أهلوهم فلم يجدوهم، فُرفع ذلك إلى الملك فقال: ليكونن لهم نبأ، واحضر لوحاً من رصاص فكتب فيه اسماؤهم وجعله في خزائنه.

وقيل في رأي آخر: إن مؤمِنَيْن كانا في بيت الملك فكتبا شأن الفتية واسماءَهم وانسابهم في لوح من رصاص ثم جعلاه في تابوت من نُحاس ووضعاه في البنيان، والله أعلم.

وقال النقاش عن قتادة: الرقيم دارهم وقيل الرقيم اللوح من الذهب تحت الجدار الذي أقامه الخَضْر عليه السلام.

وقيل : أصحاب الغار الذي انطبق عليهم إلى آخر ذلك من الأقوال.

وقد اختلفت الآراء والاجتهادات في مكان الكهف وأمر الرقيم وعلمهم عند الله.

وقال قوم: أخبر الله تعالى عن أصحاب الكهف، ولم يخبر عن أصحاب الرقيم بشيء.

وقال الضحاك: الرقيم بلدة بالروم فيها غار فيه أحد وعشرون نفساً كأنهم نيام على هيئة أصحاب الكهف[1].

فعلى هذا هم فتية آخرون جرى لهم ما جرى لأصحاب الكهف والله أعلم.

وقيل الرقيم: وادٍ دون فلسطين فيه الكهف.

قال ابن عطية: وبالشام على ما سمعت به ناس كثيرون (كهف) فيه موتى يزعم مجاوروه أنهم أصحاب الكهف وعليهم مسجد وبناء يسمى الرقيم ومعهم كلبُ رِمّه[*].

وموقع آخر في الأندلس من جهة غرناطة بقرب قرية تسمى لوشه كهف فيه موتى ومعهم كلب رمّه.

وأكثرهم قد تجرد لحمه وبعضهم متماسك[2].

يزعم أناس أنهم أصحاب الكهف وقد بنى عليهم مسجد، وقريب منهم بناء رومي يسمى الرقيم كأنه قصر مُخلقٌ قد بقي بعض جدرانه، وهو في فلاة من الأرض خربة وبأعلى غرناطة مما يلي القبلة آثار مدينة قديمة رومية يقال لها دَقيوْس[3].

---

(١) تفسير القرطبي ج١٠ ص٣٥٦ وما بعدها.

(*) رمه: جثة باليه ومتعفنه.

(٢) تفسير القرطبي ج١٠ ص٣٥٨.

(٣) تفسير القرطبي ج١٠ ص٣٥٨.

ويوجد في الأردن وتحديداً جنوب شرق عمان بحدود عشرة كيلو مترات مكان يدعى الرقيم وبه كهف، وبداخله قبور موتى، وقد بنى عليه مسجد.

وقال آخرون ان بالبلقاء بأرض العرب من نواحي دمشق موضعاً يزعمون أنه الكهف والرقيم قرب عمان، وذكروا أن عمان هي مدينة دقيانوس، وقيل في الأندلس موضع يقال له جنان الورد به الكهف والرقيم، وبه قوم موتى لا يبلون.

وذكر علي ابن يحيى أنه لما قفل من احدى غزواته دخل ذلك الموضع فرآهم في مغارة يصعد إليها من الأرض بسلم مقداره ثلاثمائة ذراع، قال: فرأيتهم ثلاثة عشر رجلاً وفيهم غلام أمرد عليهم جباب صوف وأكسية صوف وعليهم خصاف ونعال فتناولت شعرات من جبهة أحدهم والصحيح أن أصحاب الكهف سبعة، وانما الروم زادوا الباقي من عظماء أهل دينهم وعالجوا أجسادهم بالصبر وغيره[1].

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان: أن الرقيم بقرب البلقاء من أطراف الشام يزعم بعضهم أن به أهل الكهف، وقيل أنه ببلاد الروم[2].

وجه الواثق محمد بن موسى المنجم إلى بلاد الروم للنظر إلى أصحاب الكهف والرقيم، قال: فوّصلْنا إلى بلد الروم فإذا هو جبل صغير بداخله سرب، فتمر من خلال السرب إلى رواق في الجبل على اساطين منقوره وفيه عدة أبيات، منها : بيت مرتفع العتبة مقدار قامة عليها باب حجارة فيه الموتى، ورجل موكل بهم يحفظهم يساعده بذلك رجلان فمنعنا في باديء الأمر من رؤيتهم، إلا انه اخيراً سمح لنا أن نصعد، وعندما صعدت أنا وغلام لي بمشقه بالغة، فنظرت إليهم وإذا هم في مُسُوحَ شعرتفتت في اليد

(١) معجم البلدان، ج٢ ص٦١.

(٢) نفس المصدر ج٣ ص٦٠.

وإذا أجسادهم مطلية بالصبر والمُرّ والكافور ليحفظها، وإذا جلودهم لاصقة بعظامهم، كما أنه استطاع أن يُمَرِّرَ يديه على صدر أحدهم فوجد خشونه شعره وقوة ثيابه[١].

وروي عُباده بن الصامت قال: بعثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه، سنة استخلف إلى ملك الروم أدعوه إلى الإسلام قال: فسرت حتى دخلت بلد الروم فلما دنوت إلى قسطنطينية لاح لنا جبل أحمر قيل أن فيه أصحاب الكهف والرقيم، فادخلنا الحراس إلى سرب في الجبل، وكان عليه باب من حديد ففتحوه فانتهينا إلى بيت عظيم محفور في الجبل فيه ثلاثة عشر رجلاً مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود، وعلى كل واحد منهم جُبّة غبراء، وكساء أغبر قد غطوا بها رؤوسهم إلى ارجلهم، فلم نَدْرِ ما ثيابهم أمن صوف أو وبر أم غير ذلك، إلا أنها كانت اصلب من الديباج.

ورأينا على أكثرهم خفافاً وبعضهم متعلين بنعال مخصوفة، فكشفنا عن وجوههم رجلاً بعد آخر، فإذا بهم من ظهور الدم وصفاء الألوان كأفضل ما يكون للأحياء، وإذا الشيب قد وخط بعضهم، وبعضهم شبان سود الشعور وبعضهم موفورة شعورهم وبعضهم مطمومة وهم على زي المسلمين، فانتهينا إلى آخرهم فإذا هو مضروب الوجه بالسيف وكأنه في ذلك اليوم ضُرب.

فسألنا أولئك الذين ادخلونا إليهم عن حالهم فأخبرونا أنهم يدخلون إليهم في كل يوم عيد لهم يجتمع أهل تلك البلاد إلى باب هذا الكهف فننفض جبابهم ونقلم اظافرهم ونقص شواربهم ثم نعيدهم على هيئتهم التي ترونها.

فسألناهم من هم وما أمرهم ومنذ كم هم بذلك المكان، فذكروا أنهم يجدون في كُتبهم أنهم بمكانهم ذلك من قبل مبعث المسيح عليه السلام بأربعمائة سنة، وأنهم كانوا انبياء بعثوا بعصر واحد، وأنهم لا يعرفون من أمرهم شيئاً غير ذلك[٢].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[٣].

---

(١) معجم البلدان ج٣ ص٦٠ وما بعدها.

(٢) معجم البلدان ج٣ ص٦١ وما بعدها.

(٣) سورة الكهف/ آية ١٠.

قال القرطبي في تفسيره فيه ثلاث مسائل[1]:

الأولى: قوله تعالى:﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾[2] روى انهم قوم من أبناء اشراف مدينة دقيوس الملك الكافر، ويقال فيه دقينوس، وروي أنهم كانوا مطوقين مسوّرين بالذهب ذوي ذوائب وهم من الروم واتبعوا دين عيسى، وقيل قبل عيسى عليه السلام والله أعلم.

وقال ابن عباس: ان ملكاً من الملوك يقال له دقيانوس ظهر على مدينة من مدائن الروم يقال لها افسُوس، وقيل هي طرسوس وكان بعد زمن عيسى، فأمر بعبادة الأصنام فدعا أهلها إلى عبادة الأصنام، وكان بها سبعة أحداث يعبدون الله سراً، فرفع خبرهم إلى الملك وخافوه فهربوا ليلاً ومرّوا براعٍ معه كلب فتبعهم فَأَوَوْا إلى الكهف، فتبعهم الملك إلى فم الغار، فوجد أثر دخولهم ولم يجد أثر خروجهم، فدخلوا فأعمَى الله أبصارهم فلم يروا شيئاً.

فقال الملك سُدُّوا عليهم باب الغار حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً.

وروي مجاهد عن ابن عباس أيضاً أن هؤلاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الأصنام ويذبح لها ويكفر بالله وقد تابعه على ذلك أهل المدينة، فوقع للفتية علم من بعض الحواريين حسبما ذكر النقاش أو من مؤمني الأمم قبلهم، فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله، فرفع أمرهم إلى الملك وقيل له: إنهم قد فارقوا دينك واستخفُّوا آلهتك وكفروا بها فاستحضرهم الملك إلى مجلسه

---

(١) تفسير القرطبي ج١٠ ص ٣٥٨ وما بعدها.

(٢) سورة الكهف/ آية ١٠.

وأمرهم باتباع دينه والذبح لآلهته وتوعدهم على فراق ذلك بالقتل فقالوا له فيما روي: ﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[1].

وروي أنهم قالوا نحو هذا الكلام، وليس به فقال لهم الملك: أنكم شُبّان أغمار لا عقول لكم، وأنا لا أعجل بكم بل أستاني فاذهبوا إلى منازلكم ودبِّروا رأيكم وأرجعوا إلى أمري، وضرب لهم في ذلك أجلاً.

ثم أن الملك سافر خلال الأجل فتشاور الفتية في الهروب بأديانهم، فقال لهم أحدهم: أني أعرف كهفاً في جبل كذا، كان أبي يدخل فيه غنمه فلنذهب لنختفي فيه حتى يفتح الله لنا.

فخرجوا فيما روي يلعبون بالصولجان والكُرَة في طريقهم لئلا يشعر الناس بهم.

وروى وهب بن منّبه أن أول أمرهم إنما كان حواري لعيسى بن مريم جاء إلى مدينة أصحاب الكهف يريد دخولها فأجر نفسه لحمام، وكان يعمل فيه، فرأى صاحب الحمام في أعماله بركه عظيمه فالقى إليه بكل أمره، وعرف ذلك الرجل فتيانٌ من المدينة فَعرّفهم الله تعالى فآمنوا به واتبعوه على دينه واشتهرت خطتهم به، فأتى يوماً إلى ذلك الحمام ولد الملك بامرأة أراد الخلوة بها فنهاه ذلك الحواري فانتهى، ثم جاء مرة أخرى فنهاه، فشتمه ابن الملك وأمضى عزمه على دخول الحمام مع البغي، فدخل فماتا فيه جميعاً. فأتهم ذلك الحواري وأصحابه بقتلهما. ففروا جميعاً حتى دخلوا الكهف.

وأما الكلب فروي أنه كان كلب صيد لهم، وروي أنهم وجدوا في طريقهم راعياً له كلب فاتبعهم الراعي على رأيهم وذهب الكلب معهم، قال ذلك ابن عباس، واسم الكلب حمران، وقيل قطمير.

وأما اسماء أهل الكهف فأعجمية والسند في معرفتها واه، والذي ذكره الطبري هي هذه: مكسلمينا وهو أكبرهم والمتكلم عنهم، ومحسيميلتينا ويمليخا وهو الذي مضى

---

(١) سورة الكهف / آية ١٤.

بالورق إلى المدينة عند بعثهم من رقدتهم، ومرطوس وكشوطوش وديموس ويطونس ويبرونس، قال مقاتل: وكان الكلب لمكسلمينا وكان اسنهم وصاحب غنم[1].

الثانية: هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة، وما يلقاه الإنسان من المحنة وقد اعتبرت هجرة الرسول الكريم وأصحابه من مكة إلى المدينة سنداً لذلك.

وفي صحيح البخاري قال: خرج رسول الله من مكة إلى المدينة هارباً من قومه، فاراً بدينه مع صاحبه أبو بكر إلى غار بجبل ثور، ومكثا به ثلاثة ليالي، يبيت معهما عبد الله بن أبي بكر.

قال العلماء ، الاعتزال عن الناس يكون مرّة في الجبال والشّعاب ومرة في السواحل والرِّباط، ومرة في البيوت، وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " نعم جوامع المؤمنين بيوتهم ".

وروى البَغَويّ عن ابن عمر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: " المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على آذاهم "[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: "يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنُم يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقع القطر يفِرّ بدينه من الفتن"[3].

وقال تعالى:﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾[4].

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: ان الله القى النوم عليهم (أي الفتية) وهذه من فصيحات القرآن التي أقرت العرب بالقصور عن الإتيان بمثله.

---

(١) تفسير القرطبي ج١٠ ص١٦٠ (أسنهم: أكبرهم سناً).

(٢) تفسير القرطبي / ج٥/ ص٣٩٧٨.

(٣) نفس المصدر ج١٠ ص٣٦١.

(٤) سورة الكهف / آية ١١.

قال الزجاج: اي منعناهم عن أن يسمعوا؛ لأن النائم إذا سمع انتبه.

وقال ابن عباس: ضربنا على آذانهم بالنوم، أي سددنا آذانهم عن نفوذ الأصوات إليها.

وقيل:﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾[1] أي استجبنا دعاءهم وصرفنا عنهم شرّ قومهم وأغناهم[2].

وقال الزمخشري في تفسير الكشاف:﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾[3] أي ضربنا عليها حجاباً من أن تسمع، يعني أغناهم إنامة ثقيله لا تنبههم فيها الأصوات، كالمستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه[4].

وقال تعالى:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾[5].

أي من بعد نومهم، لذى أي الحزبين المختلفين في المدة التي لبثوها راقدين، وعندما سال بعضهم عن مدة مكثهم،﴿ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾[6].

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[7].

أي شباب حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة ويسرناهم للعمل الصالح والانقطاع لعبادة الله ومباعدة الناس والزهد في الدنيا[8].

---

(١) الكهف/آية ١١.

(٢) تفسير القرطبي ج١٠ ص٣٦٣.

(٣) سورة الكهف/آية ١١.

(٤) الكشاف / تفسير سورة الكهف / آية ١١.

(٥) سورة الكهف / آية ١٢.

(٦) الكهف/آية ١٩.

(٧) سورة الكهف / آية ١٣.

(٨) تفسير القرطبي ج١٠ ص٣٦٤.

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾[1].

وقويناهم بالصبر على هجر الأوطان والفرار بدينهم إلى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام[2].

﴿ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾[3].

قال بعضهم لبعض أن قومنا وأهل عصرنا وبلدنا عبدوا الأصنام، وأقاموا البينة بكونها الآلهة من غير حجة[4].

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾[5].

ومضمون هذه الآية أن بعضهم قال لبعض: إذا فارقنا الكفار وانفردنا بالله تعالى فلنجعل الكهف مأوى لنا ونتوكل على الله، فانه سيبسط علينا رحمته ويهيئ لنا من أمرنا مرفقاً[6].

---

(١) سورة الكهف / آية ١٤.

(٢) الكشاف ص٧٠٧.

(٣) سورة الكهف / آية ١٥.

(٤) تفسير القرطبي ج١٠ ص٣٦٦.

(٥) سورة الكهف / آية ١٦.

(٦) تفسير القرطبي ج١٠ ص٣٦٧.

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[1].

إذا طلعت عليهم الشمس تميل عن كهفهم ذات اليمين، أي يمين الكهف، وإذا غربت تمر بهم ذات الشمال، أي شمال الكهف، فلا يصيبهم من أشعة الشمس سواء في بداية النهار، أو في نهايته إلا اليسير من شعاعها وذلك كرامة لهم[2].

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾[3].

قال أهل التفسير: كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون، فالرائي يحسبهم ايقاظاً وقيل: تحسبهم أيقاظاً لكثرة تقلبهم كالمستيقظ من مضجعه وهم ركوع وسجود وقعود. ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾[4].

كان لهم في كل عام تقليبتان، وقيل في كل سنة مرة، وقيل كل سبع سنين مرة، وقيل انما قلبوا في التسع الآواخر وذلك لئلا تأكل الأرض لحومهم، إن ذلك من فعل الله العلي القدير[5].

---

(1) سورة الكهف / آية ١٧.

(2) تفسير القرطبي ج١٠ ص٣٦٩.

(3) سورة الكهف/ آية ١٨ .

(4) سورة الكهف / آية ١٨.

(5) تفسير القرطبي ج١٠ ص٣٦٩ وما بعدها.

﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ﴾[1]، اختلف المفسرون في أنه كلب حقيقي وفي تسميته قال ابن عباس: هربوا ليلاً وكانوا سبعة فمرّوا براعٍ معه كلب فاتبعهم على دينهم.

وقال كعب: مروا بكلب فنبح لهم فطردوه فعاد فطردوه مراراً، فقام الكلب على رجليه ورفع يديه إلى السماء كهيئة الداعي فنطق فقال: لا تخافوا مني أنا أحب أحباء الله تعالى، فناموا حتى احرسكم[2].

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾[3].

اي لو أشرفت عليهم لهربت منهم وذلك لوحشة المكان الذي هم به، فلا يجسر أحد على الدنو إليهم[4].

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾[5].

أي ايقظناهم من نومهم على ما كانوا عليه من هيئتهم في ثيابهم وأحوالهم، قال أمرئ القيس.

وفتيان صدق قد بَعثْتُ بُسحْرَةٍ

فقاموا جميعاً بين عاثٍ ونشوانِ

وعندما استيقظوا أخذوا يتحدثون فيما بينهم عن المدة التي مكثوها نائمين، فبعضهم قال مكثنا يوماً أو بعض يوم، فقال رئيسهم الله أعلم بالمدة ثم بعثوا احدهم بما لديهم من

---

(١) سورة الكهف/ آية ١٨.

(٢)تفسير القرطبي ج ١٠ ص٣٧٠.

(٣) سورة الكهف/ آية ١٨.

(٤) نفس المصدر ج١٠ ص٣٧٣.

(٥) سورة الكهف / آية ١٩.

الورق لشراء حاجتهم من الطعام، واوصوه أن يشتري لهم طعام لشخصين أو ثلاثة، لئلا ينكشف أمرهم، وأن يدخل المدينة بطريق التقيه حتى لا يشعر به أحد وذلك خوفاً على انكشاف أمرهم[1].

﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾[2].

أي ان انكشف أمره فلا يوقع اخوانه بما وقع فيه، فاذا انكشف أمركم لربما يرجموكم بالحجارة أو بالسب والشتم، أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾[3].

لما بعثوا احدهم بورقهم إلى المدينة ليأتيهم برزق منها، استنكر شخصه واستنكرت دراهمه لبعد العهد، فحمل إلى الملك وكان صالحاً قد آمن وآمن من معه، فلما نظر إليه قال: لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيوس فأني قدكنت أدعو الله أن يرينيهم وأن يعلمني مكانهم، ودعا مشيخة أهل القرية، وكان رجل منهم قد كان عنده اسمائهم وانسابهم، فسألهم فأخبروه فسأل الفتى، فقال: صدق وانطلق الملك وأهل المدينة معه لأن يدلهم على أصحابه، حتى إذا دنوا من الكهف سمع الفتية حسّ الناس فقالوا: أتيتم ظهر على صاحبكم فاعتنق بعضهم بعضاً.

فلما دنا الفتى منهم أرسلوه، فلما قدم إلى أصحابه ماتوا عند ذلك ميتة الحق، فلما نظر اليهم الملك شق عليه أن لم يقدر عليهم أحياء، وقال:لا ادفنهم إذاً فائتوني بصندوق

---

(١) تفسير القرطبي ج١٠ ص٣٧٤ وما بعدها.

(٢) سورة الكهف / آية ٢٠

(٣) سورة الكهف / آية ٢١.

من ذهب، فأتاه آت منهم في المنام فقال: أردت أن تجلعنا في صندوق من ذهب، فلا تفعل ودعنا في كهفنا فمن التراب خلقنا واليه نعود، فتركهم في كهفهم وبنى عليهم مسجداً[1].

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾[2].

لقد اختلف المفسرون في عدد أهل الكهف، فبعضهم قال ثلاثة رابعهم كلبهم وبعضهم قال خمسة سادسهم كلبهم وبعضهم قال سبعة ثامنهم كلبهم.

﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾[3] فلا يعلم عددهم إلا الله عز وجل، وقد أمر الله نبيه عليه السلام أن يَردّ علم عدتهم إليه[4].

﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾ [5] اي لا تجادل في أصحاب الكهف إلا بما أوحيناه إليك.

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾[6] ولا تطلب الفتيا من أهل الكتاب اليهود.

وقال تعالى:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾[7].

---

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور ج٥ ص٣٦٨.

(٢) سورة الكهف / آية ٢٢.

(٣) سورة الكهف/ آية ٢٢.

(٤) تفسير القرطبي ج١٠ ص٣٨٣.

(٥) سورة الكهف/آية ٢٢.

(٦) سورة الكهف/ اية ٢٢.

(٧) سورة الكهف / آية ٢٣.

وعندما سأل أهل مكة عن خبر أهل الكهف، فقال أخبركم به غداً ولم يقل إن شاء الله، فنزلت هذه الآية، أي لا تقولن لشايء أي لأجل شيء ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾[1] أي فيما يستقبل من الزمان ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[2].

قال تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾[3].

إلا أن يشاء، أي اذكر مشيئة الله في كل شيء، فإذا قال الإنسان أنا افعل هذا إن شاء الله فمعناه بمشيئة.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[4] وهو الأمر بالذكر بعد النسيان.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾[5] من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي (رشداً) والكلام هنا موجه إلى الرسول الكريم صلوات الله عليه هداية وقد فعل الله ذلك[6].

قال الله تعالى:﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾[7].

قال بعضهم لبثوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين هذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين.

---

(١) سورة الكهف / آية ٢٤.

(٢) سورة الكهف / آية ٢٤.

(٣) سورة الكهف / آية ٢٤.

(٤) سورة الكهف / آية ٢٤.

(٥) سورة الكهف / آية ٢٤.

(٦) تفسير القرطبي ج١٠ ص٣٨٥، القرآن الكريم / تفسير الآية ٢٤ من سورة الكهف.

(٧) سورة الكهف / آية ٢٥.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾[1].

أي لا يعلم علم ذلك إلا الله أو من علّمه ذلك.

﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

أي ما أبصره وأسمعه (لا أحد أبصر من الله ولا أسمع).

فلا يغيب عن بصره وسمعه شيء.

(ما لهم) لأهل السموات والأرض من دونه ولي ناصر ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾[3] لأنه غني عن الشريك.

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾[4].

أي اتبع القرآن الكريم فلا مبدل لكلمات الله ولا خلف فيما أخبر به من قصة أصحاب الكهف.

﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾[5] إن لم تتبع القرآن الكريم وخالفته فلن تجد ملجأ لك أو موئلاً[6].

---

(١) سورة الكهف / آية ٢٦ وتفسيرها.

(٢) سورة الكهف/ اية٢٦.

(٣) سورة الكهف/ اية٢٦.

(٤) سورة الكهف / اية٢٧.

(٥) سورة الكهف / اية٢٧.

(٦) تفسير القرطبي /ج١٠ص٣٨٩.

قال الله تعالى في كتابه العزيز:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾[1].

أخرج ابن عساكر من طريق ابن سمعان عن مجاهد قال: كان ابن عباس يقول في هذه الآية: وإذ قال موسى لفتاه لا ابرح يقول لا انفك ولا ازال حتى" ابلغ مجمع البحرين" ويعني به ملتقى البحرين،"أو أمضي حقباً" أو أمضي سبعين خريفاً"[2].

ويقول صاحب الكشاف في تفسيره لهذه الآية، قيل: ان الفتى هو يوشع ابن نون، وانما قيل فتاه لأنه يخدمه ويتبعه، وقيل كان يأخذ منه العلم.

وتفسير قوله " لا ابرح" لا ابرح ما أنا عليه بمعنى التزام المسير والطلب ولا اتركه أو افارقه " حتى أبلغ مجمع البحرين".

ومجمع البحرين هو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليه السلام، وهو ملتقى بحري الروم وفارس مما يلي المشرق، وقيل طنجه، وقيل افريقيه.

وفي بعض التفاسير: ان البحرين موسى والخضر عليهما السلام لأنهما كانا بحرين في العلم[3].

﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾[4] أو أسير زماناً طويلاً، والحقب ثمانون سنة[5].

وروي أنه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط، أمره الله أن يذكِرُ قومه النعمة، فقام فيهم خطيباً، فذكر نعمة الله وقال: إنه اصطفى نبيكم وكلمه.

---

(١) سورة الكهف / آية ٦٠.

(٢) الدر المنثور ج٥ ص٤٠٩.

(٣) الكشاف/ تفسير سورة الكهف/ آية ٦٠.

(٤) سورة الكهف / آية ٦٠.

(٥) الكشاف / تفسير سورة الكهف / اية٦٠ ،(ج٢،ص٦٨٣+تفسير القرطبي ،ج٥،ص٤٠٤٩).

فقالوا له: قد علمنا هذا، فأي الناس أعلم؟ قال: انا.

فعتب الله عليه حين لم يردّ العلم إلى الله فأوحى إليه: بل أعلم منك عبدٌ لي عند مجمع البحر وهو الخضر، وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام.

وكان على مقدمه ذي القرنين الأكبر، وبقي إلى أيام موسى.

وقيل: إن موسى سأل ربه: أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني.

قال: فأي عبادك أقضي؟، قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى.

قال: فأي عبادك أعلم؟ قال:الذي يبتغي علم الناس إلى علمه، عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى، أو تردّه عن ردى.

فقال: إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادلني عليه.

قال : أعلم منك الخضر.

قال: أين أطلبه؟

قال: على الساحل عند الصخرة.

قال: يا رب كيف لي به.

قال: تأخذ حوتاً في مكتل[1]، فحيث فقدته فهو هناك.

فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت أخبرني، فذهبا يمشيان، وعندما تعب سيدنا موسى من السفر، رقد ليستريح.

فاضطرب الحوت ووقع في البحر، فلما جاء وقت الغداء، طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر، فأتيا الصخرة، فإذا رجل مسَجّى بثوبه، فسلم عليه موسى.

فقال: وإني بارضنا السلام، فعرفه نفسه فقال: يا موسى، أنا أعلم علم علمنيه الله لا تعلمه انت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا.

فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء، فقال الخضر، ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر[2].

---

(١) المكتل: السلة.

(٢) الدر المنثور ج٥ ص٤٠٩، الكشاف ص٧٣١ وما بعدها.

قال تعالى:﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا﴾[1].

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾[2] وكان بين البحرين، ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل إمارة على الظفر بالطلبه.

وقيل نسي يوشع أن يقدمه، ونسي موسى أن يأمره فيه بشي.

وقيل: كان الحوت سمكة مملوحة.

وقيل أن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل، فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى، فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت، وروي أنهما أكلا منها.

وقيل: توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء(سربا) أمسك الله جريه الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق[3]. أي أن الله تعالى أمسك عن الحوت جري الماء فانجاب عنه فبقي كالكوة لم يلتئم وجمد ما تحته منه وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر عليهما السلام[4].

ولما تجاوزا الصخرة نسي سيدنا موسى الحوت كما نسي فتاه يوشع أن يذكره بوقوعه بالبحر فانطلقا بقية يومهما وليلتهما إذا كان من الغد،﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴾[5].

ولم يجد سيدنا موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فقال له فتاه:

---

(١) سورة الكهف / آية ٦١.

(٢) سورة الكهف / آية ٦١.

(٣) الطاق : الفتحة.

(٤) الكشاف، تفسير سورة الكهف، الدر المنثور ج٥ ص٤٠٩ وما بعدها.

(٥) سورة الكهف / آية ٦٢.

﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[1].

فاتبع موسى ويوشع أثر الحوت في البحر وهما راجعان على ساحل البحر ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[2].

فوجدا الخضر عليه السلام ، فصحب موسى الخضر وكان من شأنهم ما قص الله في كتابه العزيز[3].

(١) الكهف / آية ٦٣.

(٢) سورة الكهف / آية ٦٥.

(٣) الدر المنثور ج٥ ص٤٠٩ وما بعدها.

سيد الفتيان عليه الصلاة والسلام

تطلبت الدعوة الإسلامية جهاداً طويلاً بالحجة تارة وبالفتوة تارة أخرى مع هؤلاء الذين أرادوا القضاء على دعوته وهي في مهدها[1]. والجهاد في سبيل الله يتطلب من المجاهدين قوة وفتوة.

وقد ضرب المثل بشجاعة الرسول الكريم، حيث قال ابن عمر ما رأيت أشجع من رسول الله. وقال علي بن أبي طالب: إنا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحِدقَ اتقينا برسول الله[2].

روي في الصحاح من فتوته أو شجاعته عليه السلام أنه ذات ليلة فزع الناس بالمدينة فانطلق الناس تجاه الصوت، وكان الرسول قد سبقهم إلى مكان صدور الصوت لكشف الخبر ثم عاد راجعاً وهو يقول: لن تراعوا، لن تراعوا

وهو راكب على فرس لأبي طلحة عريان ما عليه سرج، وفي عنقه سيف، وكان أول من اجاب ذلك الصوت:

لا يسألون آخاهم حين يندبهم

في النائبات على ما قال برهانا[3].

واما كرمه عليه السلام، فقد كان مضرب المثل، قال ابن عباس: كان اجود الناس بالخير واجود ما يكون في شهر رمضان، وقد وصفته خديجة قائلة: إنك تصل الرحم وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق[4].

واما كرم قلبه فقد كان فذاً، لأن الله أنعم عليه بهذه الخلة الكريمة ليتم رسالته لقوله تعالى:﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾[5].

---

(١) الفتوة عند العرب ص١٤٣.

(٢) المصدر السابق ص١٤٩.

(٣) الفتوة / لابن المعمار ص١٤١.

(٤) الفتوة عند العرب ص١٥١.

(٥) آل عمران / آية ١٥٩.

وقال تعالى لنبيه الكريم: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1].

وان كرم العقل وحريته قد تجلت عند الرسول الكريم بنفوره منذ صغر سنه من مفاسد البيئة التي نشأ بها، ومن دلائل هذا الكرم العقلي نهيه بترك جميع الاعتقادات التي كانت سائدة بين الناس كالزجر والكهانة والعرافه والتي لا يقرها العقل السليم[2].

أما الوفاء بالعهد فهي خلة مشهورة من خلاله عليه السلام قبل البعثة وبعدها.

وأما حمايته للضعيف ما اشتهر به من الشفقة والرحمة والرأفة، فقد أيدها القرآن الكريم بقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وقد أوصى الرسول الكريم بالضعفاء خيراً، كما كان رحيماً بهم ولو كانوا من الأعداء[4].

وفي رأي الصوفية أن سيدنا محمد (ص) هو سابع الفتيان، حين تولاه الله يتيماً وعلمه يافعاً وواساه رجلاً وأتاه الرسالة كهلاً، ثم بوأه مقاماً لم يبوئه نبياً ولا رسولاً قبله[5].

وهكذا رأينا سيدنا محمد كيف اتجهت خلال الفتوة العربية إلى وجهة أعم وأكثر أنسانية ترمي إلى الهداية والحق، ولم يعد الزُهوُ الشخصي والمجد والدفاع عن العشيرة واكتساب السمعة الحسنة هو كل ما يرجوه الفتى.

بل صار يحمل لخدمة الدين والمبدأ ويريد اكتساب الثواب والجنةفزاد ذلك من فتوته وحماسته[6].

---

(١) الأعراف / آية ١٩٩.

(٢) الفتوة عند العرب ص١٥٨.

(٣) التوبة / آية ١٢٨.

(٤) الفتوة عند العرب ص١٦١.

(٥) بين التصوف والتشيع ص٤٥٤.

(٦) الفتوة عند العرب ص١٦٥.

علي بن ابي طالب كرم الله وجهه

ومن هؤلاء الفتيان الذين ذاعت شجاعتهم ولقى المشركون في كل موطن التقوا فيه بالمسلمين منهم كل بلاء.

فقد كان عليٌ صاحب لواء المسلمين يوم أحد بعد مقتل مُصعب بن عمير، وقاتل المسلمين خلفه حتى أنزل الله نصره وصدقهم وعده.

وقد أورد الشيخ علاء الدين على دده السكتوري البوسنوي في حاشية كتاب الفتوة لابن المعمار أول ما قيل في صفة علي كرم الله وجهه: لا فتى إلا علي يوم أحد، وذلك أن الرسول الكريم اعطاه الراية حين قاتل هو ورجال معه من الصحابة الكرام.

وانتدبه الرسول بعد معركة احد قائلاً له: أخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون! وماذا يريدون؟ فإن كانوا قد جَنَّبوا الخيل وامتطو الإبل فإنهم يريدون مكة، وان ركبوا الخيل وساقوا الإبل فانهم يريدون المدينة[1].

ومما يحكى عن فتوة علي بن أبي طالب أن الرسول واثناء معركة أحُد جلس تحت راية الأنصار، وارسل إلى علي بن أبي طالب يطلب منه أن يقدم الراية، فتقدم رضي الله عنه ونادى بين الصفوف " أنا أبو القصم" وقاتل وبارز حتى قيل فيه " لا فتى إلا عليّ "[2].

اما الأثر المشهور في هذا القول عندما ضرب علي بن أبي طالب "مرحبا"[3] هتف الهاتف:

---

(١) الفتوة لابن المعمار، الحاشيةص١٣٦ وما بعدها، الفتوة عند العرب لعمر دسوقي ص١٧٨.

(٢) الفتوة لابن المعمار الحاشية ص١٣٦.

(٣) هو مرحب اليهودي الذي قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة خيبر، وقيل كذلك أن الذي قتله هو محمد بن مسلمة. الفتوة لابن المعمار. ص١٣٦،هامش رقم ٣٧؛ تاريخ الطبري (المعروف بتاريخ الأمم والملوك)/ الطبري، جـ٢ ص٢٩٩.

لا سيف إلا ذو الفقار(*)　　　　ولا فتى إلا علي[1].

وقد انتقلت وصاية ووراثة السيف الشهير المسمى بذي الفقار إليه.

وقال عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني الشافعي في سيرة علي بن ابي طالب " وما أقول في رجل أحب كل أحد أن يتكثر به، وَوَدَّ كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه، حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها: ان لا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك، فان اربابها نسبوا انفسهم اليه وصنفوا في ذلك كتاباً وجعلوا لذلك اسناداً أنهوه إليه وسموه "سيد الفتيان" معضدين مذهبهم بالبيت المشهور أنه سمع من السماء يوم أحد.

لا سيف إلا ذو الفقار　　　　ولا فتى إلا علي"[2]

أما المتصوفة عندما وضعوا تصنيفاً متسلسلاً للفتوة، كان موقع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين هذه القائمة الثامن، وأوردوا في صفته أنه أسلم صبيّاً وجاهد في سبيل الله مراهقاً، وبوأه الله قطبانيه الأولياء وعنه أخذ الفتوة ابناه الحَسَنُ والحسين[3].

ومن الأمثلة على أخلاق سيدنا علي بن أبي طالب والتي تدل على فتوته ما اورده ابن المعمار في كتابه[4].

انه كان لأمير المؤمنين جارية تقوم على خدمته وكان له مؤدب شاب ينظر إلى هذه الجارية كلما دخلت أو خرجت من عند امير المؤمنين قائلاً لها كلما رآها: أنا والله أحبك، فلما طال ذلك عليها، قامت باخبار أمير المؤمنين بما يحصل لها.

فكان رده عليها: إذا قال لك ذلك فقولي له: وانا أيضاً أحبك.

(*) ذو الفقار: هو اسم لسيف الرسول (ص) اهداه له المقوقس، وفي بعض الاخبار أصابه في غنيمة خيبر.

(١) الفتوة لابن المعمار ص١٣٦ والحديث أورده علي القاري في الاسرار المرفوعة ،ص٣٨٤.

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٥ ص٤٦.

(٣) بين التصوف والتشيع ص٤٥٤.

(٤) الفتوة لابن المعمار ص٢٧٥.

ففعلت الجارية بما أمرها به أمير المؤمنين. فقال لها الشاب " فاصبري حتى يوفينا اجورنا من يوفى الصابرين اجورهم بغير حساب[1]، واصبري حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين "[2].

فاعلمت الجارية أمير المؤمنين ما قال لها المؤدب، فدعا به،وقال له : يا هذا قد حكم الله بينكما ووهب له الجارية[3].

---

(١) الآية الكريمة :﴿ انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب﴾وهي الآية العاشرة من سورة الزمر.

(٢) الآية الكريمة: ﴿ فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾ وهي الآية ٨٧/ الأعراف.

(٣) الفتوة / لابن المعمار ص٢٧٥.

الفتوة جزء من التصوف (الفتوة عند الصوفيين)

ان للصوفيين رأيهم في الفتوة كما لغيرهم من الشعراء والأدباء واللغويين،فهم يستعملونها حسب موافقتها لتعاليمهم ومسايرتها لمذاهبهم في معاملة العبد لنفسه وصلته بغيره من الناس وصلته بخالقه.

وقد استحسنت الصوفية كلمة الفتوة وما تدل عليه من معاني النبل والسماحة وادخلتها في معجم كلماتها وغذتها من فضائلها.

فنجد في الرسالة القشيرية باباً خاصاً في الفتوة بجانب باب الحياء والصدق، وقال معرفاً الفتوة " أصل الفتوة أن يكون العبدُ ساعياً أبداً في أمر غيره".

وعن الفضيل ابن عياض أنه قال :" الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان"، ومن تعريفات الصوفيين للفتوة قولهم:" الفتوة الا ترى لنفسك فضلاً على غيرك"، وفي رأيهم أن الفتى من خالف هواه ونفسه وبذلك أحيا الصوفية كلمة الفتوة ونقلوا عن كبارهم كلمات فيها.

فالحارث المحاسبي يقول: "الفتوة أن تُنصف ولا تُنصف".

وغيره يقول: "الفتوة إظهار النعمة وأسرار المنة" وسئل أحمد بن حنبل عن الفتوة ، فقال: هي ترك ما ترجو لما تخشى"[1].

وكان اتصال الفتوة بالتصوف منذ ظهر التصوف وانصبغت بصبغته وعلى الأخص في البلاد الإسلامية ذات الحضارات القديمة كبلاد فارس، حتى أنك لتجد آثاراً واضحة للأفكار الصوفية في تعاليم أصحاب الفتوة في كل العصور الاسلامية والعكس صحيح. أن اثاراً كثيرة للفتوة تسربت إلى بيئات الصوفية[2].

---

(١) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص٥٥.

(٢) الملامتية والصوفية واهل الفتوة ص٢٤.

فالفتيان في نظر الصوفية هم العاملون بما أمر الله والمنتهون عما نهى والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم والأولياء الذين قال الله تعالى فيهم:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

وقد أورد الدكتور مصطفى جواد في مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار، أن الفتوة أصبحت مذهب من مذاهب التصوف، فكان الصوفي الكبير يوصف بأنه احسن الصوفية طريقة في الفتوة أو بأنه ذو فتوة كاملة، وكما أوجد أصحاب مذهب التصوف لخرقتهم ومرقعتهم سنداً كذلك احدثوا لفتوتهم اسناداً ذهب جمهورهم فيه إلى ان أصل الفتوة ومبدأها العملي أخذا من سيرة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[2].

والدليل على ذلك الاتصال المتبادل بين الفتوة والتصوف ان كثيراً من الفتيان كانوا أما صوفية أو ممن لهم ميل إلى الطريق الصوفي، كما يظهر ذلك من خلال قصة نوح العيّار مع حمدون القصّار[3].

ويرى الدكتور عفيفي أن كثيراً من رجال الصوفية المشهورين ذوي المكانة العالية كانوا من الفتيان قبل ان يدخلوا الطريق الصوفي وذلك أمثال علي بن أحمد البوسنجي، وأحمد بن خضرويه وغيرهما[4]. فالفتوة الصوفية هي التي تضم جماعات الفتيان المتصوفة الزاهدة[5].

ويفند الدكتور عفيفي في كتابه الملامتية والصوفية واهل الفتوة ما ذهب إليه ثورنج من "أن اقبال الفتيان على التصوف لا يتفق وأخلاق الفتوة، إلا إذا قُصِدَ بالفتوة الارستقراطية التي كانت من مميزات طبقة خاصة من طبقات الأمة الإسلامية.

---

(١) بين التصوف والتشيع ص٤٥. والآية ٦٢/ من سورة يونس.

(٢) الفتوة / لابن المعمار، مقدمة الكتاب للدكتور مصطفى جواد ص١٣.

(٣) الملامتية والصوفية واهل الفتوة ص٢٤.

(٤) نفس المصدر ص٢٤.

(٥) سلسلة عالم المعرفة / حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي عدد ٤٥ ص١٣٩ (اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت).

وهذه لم تظهر إلا في زمن متأخر يحدده المؤرخون بالخليفة الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥هـ-٦٢٢هـ).

أما إذا نظرنا إلى الفتوة في معناها العام وجدناها خالية من هذه النزعة الارستقراطية التي تتعارض مع روح التصوف، بل وجدناها دائماً مسايرة للتصوف صديقه له يأخذ عنها، وتأخذ عنه.

وليس للفتيان دعوى امتياز على غيرهم إلا في الشعور بالواجب وفعل ما يقضي به الشرف، لا دعوى أفضلية طبقة على طبقة أخرى داخل النظام الاجتماعي، فإن ادعى فتيان الصوفية لأنفسهم مَيّزة على غيرهم لَزِم تحمل هذه الدعوى على المحمل الأول[١].

ومن هنا نجد العلاقة الوثيقة بين الفتوة والتصوف فلما ظهر التصوف ظهرت فيه مع فضيلة التقوى مجموعة من الفضائل الأخرى المستمدة من الفتوة.

فلما كمل نموه في القرنين الثالث والرابع قويت فيه الفكرة الأساسية التي امتازت بها الفتوة العربية القديمة وهي فكرة الإيثار، واعتبرها الصوفية من أوائل مبادئهم، واضافوا إليها صفات أخرى متصلة بها مثل كف الأذى، وبذل الندى، وترك الشكوى، واسقاط الجاه، ومحاربة النفس والعفو عن زلات الغير،وغير ذلك من معاني التصوف[٢].

أضف إلى ذلك أن الصوفية تبنوا فكرة الفتوة وعدوها من الفضائل التي يحثون المريدين على التمسك بها. فأصبحت الفتوة مذهباً من مذاهب التصوف، فكان الصوفي الكبير يوصف بانه أحسن الصوفية طريقة في الفتوة، أو بأنه ذو فتوة كامنة[٣].

ومن اخلاقياتهم انهم يعَدّون من أنواع الفتوة ازالة كل عائق يمنع وصول الخير إلى مستحقه، فإذا وجدوا حجراً يعوق وصول الماء إلى النبات أزالوه، وإذا وجدوا انساناً تعوقه عن الخير فكرة شريرة أزالوها عنه.

---

(١) الملامتية والصوفية واهل الفتوة ص٢٦.

(٢) نفس المصدر ص٢٥.

(٣) الفتوة / لابن المعمار، مقدمة الكتاب ص١٣.

وإذا وجدوا بؤساً يعوق الناس عن المعيشة عيشة راضية، وكان في استطاعتهم بذل المال بذلوه[1].

ومن أخلاق الصوفيين: ان صوفياً تزوج امرأة ثم ظهر عليها مرض الجدري قبل الدخول بها، فتعامى الصوفي حتى لا يجرح شعورها.

فلما ماتت زوجته فتح عينيه، فقيل له لماذا تعاميت والآن أصبحت بصيراً، فقال لهم: "لم أعمَ ولكن تعاميت حذراً من أن تحزن"، فقيل له: "سبقت الفتيان"[2].

---

(١) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص١٠٩.

(٢) بين التصوف والتشيع ص٤٥.

١- تحليل لباب الفتوة الوارد في الرسالة القشيرية.

تعريف بالرسالة القشيرية:

تأليف الإمام العالم الجامع بين الشريعة والحقيقة أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري شيخ خراسان في عصره، زاهداً، عالماً بالدين، كانت اقامته بنيسابور وتوفي بها سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م.

له عدة مؤلفات منها الرسالة القشيرية في علم التصوف وقد أفرد باباً للفتوة.

تحدث فيه عن الآيات القرآنية الواردة في الكتاب الكريم عن الفتوة واتبعها ببعض الأحاديث، ثم بعد ذلك عن معنى الفتوة، والتعريفات المختلفة التي وردت بمعناها، ثم تحدث بعد ذلك عن الصفات التي يجب أن يتصف بها الفتى.

٢- الفتوحات المكية:

تعريف:

تأليف محمد بن علي بن محمد ابن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسيه بالأندلس سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م وانتقل إلى اشبيلية وقام برحلة زار خلالها الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، ثم استقر بعد خروجه من السجن بدمشق إلى أن توفي بها سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م.

له نحواً من اربعمائة كتاب ورسالة من ضمنها كتاب الفتوحات المكية في عشر مجلدات وهو يبحث في التصوف وعلم النفس.

وقد أفرد فصلاً للحديث عن الفتوة.

ففي الباب الثاني والأربعون من الجزء الثاني والعشرون من السفر الرابع من كتاب الفتوحات المكية تحدث عن الفتوة والفتيان ومنازلهم وطبقاتهم واسرار اقطابهم.

فبدأ حديثه بـ"الفتوة مقام القوة" وأورد بعض الآيات القرآنية التي تدل على ذلك كقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[1].

ثم تحدث بعد ذلك عن منازل الفتيان، يقول الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾[2].

وهذا حال الفتوة فهي تمر بمرحلة الطفولة ثم تنتقل بعد ذلك إلى مرحلة الكهولة.

ثم تحدث عن العلاقة بين الفتيان والملامتية، وبعدها عن طبقات الفتيان، ثم عن قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام مع عبدة الأصنام واورد قوله تعالى:﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾[3].

ثم حديث فتى سيدنا موسى عليه السلام وقول الكريم في كتابه:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾[4].

وبعدها بالحديث عن الأنبياء وبأنهم حجبة سيدنا محمد صلوات الله عليه قبل مبعثه لقول الرسول الكريم: "آدم فمن دونه تحت لوائي".

ثم يختتم هذا الباب بالحديث عن تسخير الفتى لخدمة الآخرين، لقوله صلى الله عليه وسلم: "خادم القوم سيدهم"[5].

---

(١) سورة الذاريات / آية ٥٨.

(٢) سورة الروم / آية ٥٤.

(٣) سورة الأنبياء / آية ٦٠.

(٤) سورة الكهف / آية ٦٠.

(٥) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة / الألباني/ ج٤/ ص٩ (حديث رقم ١٥٠٢).

نماذج من المتصوفين

التصوف: هو ترك الأختيار، ويقال هو حفظ حواسك ومراعاة انفاسك ويقال هو الجد في السلوك إلى ملك الملوك، ويقال هو الإكباب على العمل والإعراض عن العلل[1].

سئل الحسين ابن منصور عن التصوف، فقال:" وحداني الذاتي لا يقبله أحد ولا يقبل أحداً".

ويقول أبا حمزة البغدادي، علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى، ويذل بعد العز، ويخفى بعد الشهرة، وعلامة الصوفي الكاذب: أن يستغني بعد الفقر، ويعز بعد الذل، ويشتهر بعد الخفاء.

ويقول محمد بن القصاب: التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوام كرام.

وسئل سمنون عن التصوف، فقال: أن تملك شيئاً ولا يملكك شيء[2].

فالتصوف اتجاه شخصي أي ذاتي وعاطفي، فهو يختلف من شخص إلى شخص ومن جماعة إلى جماعة[3].

وقد سلك المتصوّفة مسلَكَ سائر أصحاب الحركات الفكرية في الإسلام في البحث عن مبرّر لطريقتهم[4].

وقد عَرفَ عميد جامعة باريس في أوائل القرن الخامس عشر للميلاد، التصوف بقوله: " الفقه الصوفي (المعرفة في طريق التصوف) هو علمٌ حق بالله قائمٌ على تجربة شخصية يتوصل إليها الإنسان من خلال إيمانه بالمحبّة الشاملة[5].

---

(١) الرسالة القشيرية – باب التصوف هامش صفحة ٢١٦.

(٢) نفس المصدر ص٢١٧.

(٣) الاسلام منهج حياة ص١٢١.

(٤) نفس المصدر ص١٢٥.

(٥) نفس المصدر ص١٢٢.

وطريق الصوفي طويل وشاق، فهو يمر بعدداً من المقامات (المحطات والمراتب) ومن هذه المقامات الزهد، الذي يقتضي منه توبه صادقه، يزكي بها المتصوف نفسه، ويخرج حب الدنيا من قلبه ويتخلى عن ملذاتها[1].

والطريقة الصوفية تنشأ عادةً في خلية معزولةً أو في بيت الشيخ (الصوفي الكبير) فإذا كثُر اتباعُها وقَويتَ اقامت لنفسها زاوية أو تكية ينفق عليها الأغنياء من اتباعها. والرياضة الأساسية للمتصوف هي الذكر، ذكر الله وذلك استناداً إلى ما ورد في الآية الكريمة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[2].

---

(١) الإسلام منهج حياة ص١٢٦.

(٢) نفس المصدر ص١٤٣، والآيتان (٤١، ٤٢) من سورة الأحزاب.

الفضيل بن عياض

الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميميّ ثم اليربوعي، خرساني من ناحية مرو من قرية يقال لها فندين(*).

ولد بسمرقند، ونشأ بابيورد(*)، مات في الحرم سنة سبع وثمانين ومائة وأسند الحديث.

سئل الفضيل بن عياض عن التواضع، فقال: "أن تخضع للحق وتنقاد له، وتقبل الحقّ من كل من تسمعه منه".

وقال: "خير العمل أخفاءه، وأمنَعَهُ من الشيطان أبْعَدَهُ من الرياء".

وقال: كان يقال: "جُعِل الشرّ كلُّه في بيت وجُعل مفْتاحُه الرَغْبة في الدنيا، وجُعل الخير كلُّه في بيت وجُعل مفْتاحُه الزهد في الدنيا".

وقال: " أحقُّ الناس بالرضا عن الله، أهلُ المعرفة بالله عزّ وجل".

وقال أيضاً: " من عرَف الناس استراح".

ومن أقواله: " في آخر الزمان أقْوامٌ يكونونَ إخوان العَلانيَة، أعداء السَّريرة".

ومن أقواله: " تباعد من القرَّاء، فإنهم إن أحَبُّوك، مدحوك بما ليس فيك؛ وإن أبْغضُوك شهدوا عليك، وقُبلَ منهم"[1].

(*) فندين: من قرى مرو.

(*) مدينة بخراسان.

(١) طبقات الصوفية – ص٩ وما بعدها.

إبراهيمُ بنَ أدهَمْ

ابراهيم بن أدهم أبو اسحاق ، من أهل بلخ، خَرج متعبداً فهتف به هاتف، أيقظه من غفلته فترك طريقته في التزين بالدنيا ورجع إلى طريقة أهل الزُّهد والورع.

كتب ابراهيم بن أدهم إلى سفيان الثوري: " مَنْ عَرَفَ ما يطلبُ هان عليه ما يَبْذلُ، ومن اطلق بَصَره طال أسفه، ومن أطلق أمَلَه ساء عَمَلهُ، ومن أطلق لسانه قتل نَفْسَه "[1].

(١) طبقات الصوفية ص٢٧ وما بعدها.

حمدون القصار

حمدون بن أحمد بن عمارة أبو صالح القصَّارُ النيسأبوريُّ، شيخ أهل الملامة بنيسابور ومنه انتشر مذهب الملامة.

توفي سنة احدى وسبعين ومائتين بنيسابور ودفن بمقبرة الحِيرَة[*]، واسند الحديث سئل متى يجوْز للرَّجل أن يتكلم على الناس؟.

فقال: "إذا تَعَيَّنَ عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى في علمه، أو خاف هلاك إنسان في بدعة، يرجو أن يُنجيَه الله تعالى منها بعلمه"

وقيل لحمدون: "ما بالُ كلام السَّلف أنفعُ من كلامنا؟". قال: "لأنهم تكلموا لعزّ الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن ونحن نتكلم لعزّ النَّفسْ، وطلب الدنيا وقُبول الخلق".

وقال: "من ضيَّع عهود الله عنده، فهو لآداب شريعته أضيع، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[1].

وقال لأصحابه: "أوصيكُم بشيئين: صُحْبَة العُلماء، والاحتمال عن الجهَّال".

وقال أيضاً: "من شَغَلَهُ طلبُ الدُّنيا عن الآخرةِ ذَلَّ إمَّا في الدنيا وإما في الآخرة".

وسئل عن الزُّهْدُ، فقال: "الزُّهْدُ عندي ألا تكونَ بما في يدك أسْكَنَ قلباً منك بضمان سيِّدك".

ومن أقواله: "مَن رأيتَ فيه خِصْلَةً من الخير فلا تُفارقه فانه يُصيبك من بركاته".

وسئل عن طريق الملامة، فقال: "خوفَ القَدَريَّة ورجاءُ المرجِئة"[2].

(*) الحِيرَة: على ثلاثة أميال من الكوفة، معجم البلدان ٢/ ٣٢٨.

(١) سورة الإسراء / آية ٣٤.

(٢) طبقات الصوفية ص١٢٣ وما بعدها.

علي بن أحمد البوشنجي

أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل كان أوحد فتيان خراسان وأعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد وعلوم المعاملات وأحسنهم طريقه في الفتوة والتجريد، مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

سئل عن السنة فقال: "البَيْعةُ تحت الشجَرة وما وافق ذلك من الأفعال والأقوال".

وسئل عن التصوف، فقال: " اسم ولا حقيقه وقد كان قبلُ حقيقةً ولا اسمٌ".

وسئل عن التصوف أيضاً، فقال: " هو الحريةُ والفُتوة وترك التكلف في السخاء والتظرف في الأخلاق".

وسئل عن المروءة، فقال: " ترك استعمال ما هو محرّم عليك مع الكرام الكاتبين".

وسئل أيضاً عن المروءة، فقال: " حُسن السّر والبِشْر" وسئل عن الفتوة، فقال: "حسن المراعاة ودوام المراقبه، وألا ترى من نفسك ظاهراً يخالفه باطنك".

وقال أيضاً: " من ذَلَّ في نفسه رفع اللهُ قدرَه ومَنْ عزَّ في نفسه أذلّه اللهُ في أعين عباده".

وقال الناسُ على ثلاث منازل:

الأولياء، وهم الذين باطِنُهم أفضل من ظاهرهم.

والعلماء: وهم الذين سرُّهم وعلانيتُهم سواء.

والجُهّال: وهم الذين علانيتُهم تخالف اسرارهم لا يُنصفون من انفسهم، ويطلبون الإنصاف من غيرهم"[1].

---

(١) طبقات الصوفية ص٤٥٨ وما بعدها.

محمد بن خفيف

أبو عبدالله محمد بن خفيف، شيخ المشايخ في وقته، عالماً بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق أوحد المشايخ في وقته علماً وخلقاً، مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وأسند الحديث.

قال: " الرياضة كسر النفوس بالخدمة ومنعها عن الفَترة ".

وقال أيضاً: "الانبساط سقُوط الاحتشام عند السؤال".

وقال: " ليس شيءٌ أضر بالمريد من مسامحة النفس في ركوب الرخص وقبول التأويلات".

وقال: " التقوى مُجانبةَ ما يَبعدكُ عن الله تعالى".

ومن أقواله: " المشاهدة اطلاعُ القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق عن الغيوب".

وقال أيضا: "الخوفُ اضطرابُ القلوبِ بما علمتْ من سطوة المعبود".

وسئل عن التصوف فقال: " تصفيةُ القلب عن موافقة البشريَّةِ، ومفارقةُ أخلاق الطبيعة وإخمادُ صفات البشريَّة، ومُجانبةُ دعاويَ النفسانية، ومُنازَلةُ صفاتِ الرُّوحانية والتعلُّقُ بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السَّرْمَديَّة؛ والنصحُ لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباعُ الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة"[1].

---

(١) طبقات الصوفية ص٤٦٢ وما بعدها.

احمد بن خضرويه البلخي أبو حامد

من كبار مشايخ خراسان، قَدم نيسابور وزار بها بعض العلماء.

من أقواله: " لا نوم اثقل من الغفلة ولا رق أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة".

مات سنة اربعين ومائتين[1].

(١) التصوف في الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه ص٢٨.

أحمد بن أبي الحواري أبو الحسن

من أهل دمشق، مات سنة ثلاثين ومائتين.

من أقواله: " من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها، أخرج نور اليقين والزهد من قلبه ".

ومن أقواله أيضاً: "من عمل عملاً بلا اتباع سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فباطل عمله".

وأيضاً يقول: " أفضل البكاء بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة "[1].

---

(١) التصوف في الإسلام ص٢٨.

من قرية يقال لها " كورد اباذ" على باب مدينة نيسابور، على طريق بخارى، أحد الأئمة مات سنة نيف وستين ومائتين.

من أقواله: " الفتوة أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف".

ومن أقواله أيضا: " من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال"[1].

---

(١) التصوف في الإسلام ص٢٨.

عبد الله بن خبيق أبو محمد

من زهاد المتصوفة، كوفي الأصل. من أقواله: " لا تغتم إلا من شيء يضرك غداً، ولا تفرح إلا بشيء يسرك غداً".

ومن أقواله أيضاً: " وحشة العباد عن الحق أوحشت منهم القلوب، ولو أنهم أنسوا بربهم لأنس بهم كل أحد".

ويقول ايضاً: " طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب"[1].

---

(١) التصوف في الإسلام ص٢٩.

الجنيد بن محمد أبو القاسم

سيد هذه الطائفة وأمامهم، أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق. مات سنة سبع وتسعين ومائتين.

من أقواله : " ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات ".

ومن أقواله أيضاً: " الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول "[1].

(*) نهاوند: مدينة عظيمة بينها وبين همذان مسافة أربعة عشر فرسخاً، معجم البلدان ٥/ ٣١٤.

(١) التصوف في الإسلام ص٣١.

أحمد بن محمد النوري أبو الحسين

بغدادي المولد والمنشأ، بغوي(*) الأصل، مات سنة خمس وتسعين ومائتين.

من أقواله: "التصوف ترك كل حَظٍّ للنفس".

ويقول كذلك: "من رأيته يدعي مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربن منه".

ويقول أيضاً: "أعز الأشياء في زماننا شيئان عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقته"[1].

(*) بَغ: يقال لها بغ وبغشور، والنسبة إليها بغويّ من قرى خراسان انظر معجم البلدان ج١/ ٤٦٨.

(١) التصوف في الإسلام ص٣٣.

الفصل الثالث

وجه الفتوة الاجتماعي والاقتصادي

أ- الفترة الأموية.

ب- الفترة العباسية.

١. تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الخلافة العباسية بشكل عام وفي بغداد بشكل خاص.
٢. انحراف الفتوة وتحولها إلى حركات شعبية واستغلال القيم الثابتة لتغطية أعمال الشغب.
٣. ظهور حركة الشطار والعيارين في بغداد.
٤. موقف البويهيين من حركة العيارين.
٥. موقف السلاجقة من حركة العيارين.
٦. حركة الأحداث في بلاد الشام.
٧. حركة الحرافيش والزعار في مصر.

الفتوة في العصر الأموي

عالجت في الفصل الأول والثاني نشأة الفتوة وتطورها من خلال الوجه الديني لها، وتبين بأن مفهوم الفتوة حتى القرن الثاني الهجري لم يتصل بحركة ما، وأن الفتوة كانت تشكل مجموعة من المقاييس الخلقية والأدبية تطورت هذه المقاييس بتطور المجتمع ومع وجود إشارات إلى مجموعة من فتيان اللهو، فلا يمكن اعتبارهم يمثلون حركة اجتماعية للفتوة، فهم من المتدينين الأثرياء – وهمهم الوحيد اللذة والشراب والغناء(1).

وروى أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني من أخبار حنين الحيري وهو من كبار المُغنِّين في أيام بني أمية هذا نصه «كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة، وكان لطيفاً في عمل التمنيات فكان إذا حمل الرياحين إلى بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطربين إلى الحيرة ورأوا رشاقته وحسن قده وحلاوته وخفة روحه استمالوه» (2).

إن سماع الغناء كان من عادات الفتيان في أوائل القرن الثاني للهجرة، وعندما كان خالد بن عبدالله القسري والياً على العراق من قبل الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك حَرّمَ الغناء بالعراق فدخل عليه يوماً حنين الحيري ومعه عود خبأه تحت ثيابه فقال لخالد: أصلح الله الأمير كانت لي صناعة أعود بها على عيالي فحرّمها الأمير فأضرٌ ذلك بي وبهم، فقال له خالد: وما صناعتك يا حنين؟ فكشف عن عوده وقال: هذا العود، فقال له خالد: غنّ فحرك أوتاره وغنى أبياتاً من الشعر لعدي ابن زيد العبادي:

---

(1) عبد العزيز الدوري "نشوء الأصناف والحرف في الإسلام" مجلة كلية الآداب، ع1 (1959) ص29 وما بعدها.

(2) الأغاني جـ2 ص375، مصطفى جواد "الفتوة والفتيان قديماً"، مجلة لغة العرب، مج8 (1930) ص243، مصطفى جواد "الفتوة وأطوارها" مجلة المجمع العلمي العراقي، مج5 (1985) ص49 .

أرواحٌ موزّعٌ أمْ بكورُ

لك فاعمد لأيّ حال تصيرُ

فبكى خالد القسري وقال له: قد أذنت لك في الغناء وحدك، واشترط عليه عدم مجالسة السفيه أو المعربد، فكان حنين إذا دعي إلى حفلة للغناء قال للحاضرين: أفيكم سفيه أو معربد[1] .

ومن أشعاره أيضاً:

أنا حنين ومنزلي النجف

وما نديمي إلا الفتى القصف

أقرع بالكأس ثغر باطية

مترعة نارية وأغترف[2]

وذكر أبو العباس محمد بن يزيد المبرد صاحب كتاب الكامل أن خليلان الأموي كان يتغنّى ويرى ذلك زائداً في الفتوة، وكان خليلان الأموي شريفاً ذا سعة ونعمة[3] .

كما أن من عادات الفتيان في العهد الأموي شرب المسكر، فقد أورد الجاحظ «بل لقد رأينا أصحاب النبيذ والفتيان يمتدحون بكثرة الشرب، كما يمتدحون بقلة الرزق[4] .

---

(١) مصطفى جواد "الفتوة وأطوارها" مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥ (١٩٥٨)،ص٤٩ وما بعدها.

(٢) الصعلكة والفتوة في الإسلام ص٥٠ .

(٣) مصطفى جواد "الفتوة وأطوارها" مجلة المجمع العلمي العراقي مج٥ (١٩٥٨) ص٥٠ .

(٤) نفس المصدر ص٥٠.

ومن أخبار حنين الحيري أنه قال: خرجت يوماً إلى حمص التمس الكسب بها وأرتاد من استفيد منه شيئاً، فسألت عن الفتيان بها، وأين يجتمعون؟ فقيل لي عليك بالحمامات فأنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا فجئت إلى أحد الحمامات فدخلته فإذا به جماعة منهم فأنست وانبسطت وأخبرتهم أني غريب، ثم خرجوا وخرجت معهم فذهبوا إلى منزل أحدهم، فلما قعدنا آتينا بالطعام فأكلنا وآتينا بالشراب فشربنا، فقلت لهم: هل لكم مغني يغنيكم؟ قالوا: ومن لنا بذلك؟ قلت أنا لكم به هاتوا عوداً، فلما أحضر العود أخذت أغني لهم.

وليس لهؤلاء الفتيان مزية سوى إضافة الضيفان وإغاثة اللفهان[1] .

ولم تقتصر الفتوة على الغناء وحده وإنما شملت أموراً أخرى كالتدريب على رمي السهام، فقد كان صبيان المدينة المنورة في زمن الأمويين يتدربون على رمي السهام عن القسي للتمرن واللعب، وانتشر ذلك بين الناس حتى كان بعض الخلفاء الأمويين يقضي هو وحاشيته الأوقات في الرمي إلى هدف معلق في الهواء للتسلية والتنفيس عن النفس وتمرنا على هذا الفرع من فروع الفروسية[2] .

ومما يرى في ذلك أن الخليفة هشام بن عبدالملك أمر بأشخاص محمد بن علي الباقر وابنه جعفر الصادق إلى مركز الخلافة في دمشق، فلما اشخصا ودخلا عليه وهو جالس على سرير الخلافة وجنده وخاصته وقوف متسلحين، وقد نصب (البرجاس)[3] حذاءه ومشايخ قومه يرمون، فقال لمحمد الباقر: ارم مع اشياخ قومك، وكان هدف هشام أن

---

(١) الأغاني جـ٢ ص٣٥٨ وما بعدها، مصطفى جواد "الفتوة والفتيان قديماً" مجلة لغة العرب مج٨ (١٩٣٠)، ص٢٤٣ – ٢٤٤، الصعلكة والفتوة في الإسلام ص٥١، مصطفى جواد "الفتوة وأطوارها" مجلة المجمع العلمي العراقي مج٥ (١٩٥٨) ص٤٩ .

(٢) مصطفى جواد "الفتوة والفتيان قديماً" مجلة لغة العرب مج٨ (١٩٣٠) ص٢٤٥ .

(٣) البرجاس: غَرَضٌ في الهواء على رأس رمح يرمى به وهي أمارة تُنصب من الحجارة (القاموس المحيط ص٦٨٥).

يظهر للموجودين عجز محمد الباقر ويمكنهم من الضحك عليه، فاستعفى الإمام من ذلك، فلم يوافقه الخليفة ثم أصر عليه الخليفة بالرمي، عندها تناول الإمام قوس أحد الشيوخ المتواجدين بحضرة الخليفة ثم تناول سهماً فوضعه في كبد القوس ثم انتزع ورمى وسط الهدف فنصب السهم فيه ثم رمى ثانية ثم تكرر رميه، عندها اضطرب الخليفة هشام بن عبدالملك في مجلسه فلم يتمالك أن قال: أجدت يا محمد وأنت أرمى العرب والعجم[1].

وكان خلفاء الدولة الأموية لهم ولع بالصيد والدليل على ذلك القصور الأموية المنتشرة في البادية الأردنية، فقد كانوا يقضون بها عدة أسابيع من السنة يستمتعون بوسائل اللهو والصيد والقنص ومباريات الفروسية التي كانت تقام بها وما يصاحب ذلك من متعة الغناء والرقص[2].

الفترة العباسية:

ومع نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي تطور مدلول كلمة الفتوة، فقد تغيرت عند الراغبين في الدنيا والتشوق إلى اللهو والمتعة وانقلبت الشجاعة في المواقف المشرفة إلي شطاره وعياره في فتوة مزيفة، فالشراب والألعاب والغناء والتشطر والإرهاب صارت من صفات الفتوة الثانية المسمّاه «الفتوة اللاهية» مع الاحتفاظ بشيء من الصفات الأصلية كالوفاء والنجدة والسخاء.

وكان في أواخر عصر بني أمية وتحديداً في الثلث الأول من القرن الثاني الهجري ظهور طبقة من الناس في الشام والعراق يعرفون باسم «الفتيان» يجتمعون للهو والسكر والغناء، وكان الغناء من أظهر سماتها وأخذت بالانفصال التدريجي عن تلك الفتوة الجادة، وتستقل بسلوكها وتقاليدها ووظيفتها وغاياتها، وأصبحت تعرف بالفتوة اللاهية

---

(١) مصطفى جواد "الفتوة والفتيان قديماً" لغة العرب، مج٨ (١٩٣٠)، ص٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٢) آثار الأردن ص١٨٣ وما بعدها، تاريخ التمدن الإسلامي ج٣ ص٦٩٧ .

ولها اتباع ومريدون أكثرهم من الثائرين على المجتمع والدولة من الرعاع والنهابة والعابثين.

وبذلك أصبح هناك تيارين للفتوة: التيار الأول والذي أطلق عليه فتوة العيارين والشطار وهي فتوة عملية عنيفة وسيتم الحديث عنها في مكان آخر من هذا الفصل.

ويسلوك الفتوة اللاهية هذا المسلك واستقلالها هذا الاستقلال كانت نهاية القرن الثاني الهجري منشأ لفتوة لاهية باغية من الشطار والعيارين[1] .

تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الخلافة العباسية بشكل عام وفي بغداد بشكل خاص

بالرغم من قصر عمر الدولة الأموية والتي لم تتجاوز القرن كانت الحالة الاقتصادية للخلافة الإسلامية مزدهرة.

فقد تحول المجتمع القبلي من العصر الأموي تدريجياً إلى الاهتمام بالزراعة والعناية بتملكها واستصلاحها وحفر القنوات والترع وتوسيع الملكيات، أما التجارة فلم يكن لها نشاط على الصعيد الخارجي[2] .

وبعد مجيء الحكم العباسي ونهاية الدولة الأموية يلاحظ نمو المدن وتطور الحياة على مختلف الأصعدة وخاصة الحياة الاقتصادية.

---

(١) مقدمة كتاب الفتوة / مصطفى جواد ص١٣ – ١٥، محمد رجب النجار ص١٤٠ (حكايات الشطار والعيارين) ع ٤٥ (١٩٨١).

(٢) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص٥٩ .

فقد ازداد نشاط الحرف والمهن واتسعت أسواقها ومحلاتها وظهرت تنظيمات الحرفيين[1] .

وخلال الفترة الممتدة من بداية الخلافة حتى بداية القرن الخامس الهجري أي قبل أن يتغلغل الضعف والوهن إلى جسم الخلافة العباسية وهي فترة الخلفاء الأقوياء شهدت تطوراً في مختلف المجالات الاقتصادية سواء الزراعية أو الصناعية أو التجارية بشقيها الداخلي والخارجي وهذا الازدهار عائد إلى عدة أسباب هي:

١. استقرار الأوضاع السياسية في حاضرة الخلافة الإسلامية.

٢. الموقع الجغرافي المتوسط للعراق ووقوعه على طرق المواصلات البرية والبحرية.

٣. تشجيع الخلفاء العباسيين للتجارة.

ففي مجال التجارة سلك التجار العراقيين الطرق البرية والبحرية واستطاعوا السيطرة على الجانب الرئيسي منها مع الهند والصين والشرق الأقصى والمغرب الأقصى والأندلس وشرق أفريقيا.

فكانت أهم البضائع في القرنين الثالث والرابع الذهب، الفرو، الدروع، السيوف والفراء، المسك، التوابل، الأحجار الكريمة، الحرير، البسط، السجاد، القطن، المنسوجات والأرز والديباج.

وكان التعامل أما بالمقايضة أو بالنقد مباشرة وتكونت نتيجة ذلك طبقة من التجار تمتلك الأموال الطائلة، وادى تشجيع الدولة لحركة التجارة وتوسيع فعالياتها، كما أن

---

(١) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، د. عبدالعزيز الدوري ص٦٦ .

التجارة كانت حرة مما يسر لها النشاط واتساع نشاط المؤسسات المالية والصيرفية وذلك لتسليف التجار.

وكانت السفاتج(*) هي وحدة التعامل بين التجار[1] .

أما في مجال الزراعة: فقد تطورت الحياة الزراعية وتوسعت الملكيات الزراعية وظهر الإقطاع الزراعي، واتجه مالكوا الأراضي إلى تطوير الزراعة[2] .

وكان من نواحي الازدهار الاقتصادي ارتقاء الصناعة، وتعدد الصناعات في العراق فظهرت صناعات مثل صناعة الزجاج والنسيج ودور السكة وضرب النقود[3] .

هذا الازدهار في التجارة والصناعة والزراعة له أثره الإيجابي على تطور الأوضاع المعاشية للناس.

فبغداد الرشيد في عصرها الذهبي تعتبر من كبريات العواصم، فكانت تأتيها أموال الجزية والخراج والغنائم من كل مكان.

إلا أن سياسة تشديد الاستغلال أثارت سخطاً واسعاً لدى جماهير الفلاحين وقد وجد تعبيره في كافة الانتفاضات المتعاظمة وخصوصاً في عهد الخليفة هارون الرشيد[4] .

(*) السفاتج: جمع سفتجة وتقوم بدور الحوالات وصكوك المسافرين.

(١) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، د. عبدالعزيز الدوري ص٦٨ – ٧٠ .

(٢) نفس المصدر السابق ص٧١ .

(٣)مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص٧١ – ٧٢ .

(٤) المستشرق السوفيتي ي.أ. بيليايف "الحالة الاقتصادية في عهد الخلافة العباسية" مجلة المورد مج٢ ع٣ (١٩٧٣) ص٣٧.

وقد كتب أبو يوسف قاضي هارون الرشيد الخليفة الذي بلغت الدولة العباسية في عهده ذروة الرفعة والجبروت يقول له: ينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد (ﷺ) والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم بحق يجب عليهم، فقد روي عن رسول الله (ﷺ): «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه»[1] .

كما أن القاضي أبو يوسف كان يعارض بقوة تحصيل الضرائب من المعدمين والمرضى والشيوخ وعدم اللجوء إلى تعذيب المدينين عن بقايا الضرائب المتحققة عليهم[2].

لقد شددت الحكومة المركزية في بغداد الضغط الضريبي على الكادحين، واعتبرت معارضتهم لذلك غير ذات جدوى.

فقد سعت الحكومة على زيادة الضرائب على الأراضي الخراجية واستبدلت الضريبة العينية التي كانت تتقاضها في السابق بضريبة نقدية مما أدى إلى تضاعف أعباء المواطنين وتردي أحوالهم المعاشية وكانت الخزينة والطبقة الحاكمة هي المستفيد من هذا الإجراء بزيادة مدخولاتهم من هذه الضريبة[3] .

---

(١) مجلة المورد، مج٢ ، ع٣ (هامش الصفحات ٣٦، ٣٧) والحديث في كنز العمال/ جـ٤/ ص٣٦٧ رقم (١٠٩٤٧).

(٢) المستشرق السوفيتي ي. أ. بيليايف "الحالة الاقتصادية في عهد الخلافة العباسية" مجلة المورد مج٢ ، ع٣ (١٩٧٣) ص٣٦ .

(٣) المستشرق السوفيتي ي. أ. بيليايف "الحالة الاقتصادية في عهد الخلافة العباسية" مجلة المورد مج٢، ع٣ (١٩٧٣) ص٣٦ .

ونتيجة لسيطرة الأتراك على الخلافة العباسية منذ عهد المعتصم وكان هذا النفوذ لا يقتصر على بغداد وحدها وإنما شمل الولايات الإسلامية إذا أخذ الخلفاء يقطعونهم تلك الولايات مقابل جزية معينة يؤدونها لبيت المال، وقد جرت العادة أن يبقى هؤلاء الولاة الأتراك إلى جوار الخليفة ببغداد في حين يتم إرسال نواباً عنهم لحكم تلك الولايات[1] .

نتيجة هذا حصل إرباك سياسي وسوء إدارة مما أدى إلى الإضرار بأهل الصنائع بصورة مباشرة وارتفاع في الأسعار وتدني الأجور. هذه الأمور مجتمعه أدت إلى ظهور تيارات اجتماعية تدع باسم الدين للإصلاح وتؤكد بصورة خاصة على تحسين الوضع المالي والاجتماعي للمجتمع، وأوجدت لديهم روح التذمر والتمرد وجعلتهم يساهمون في الحركات الاجتماعية بصورة فعالة، بل كونت بينهم وجهة ثورية تتمثل بوضوح في حركات العيارين والشطار[2] .

وخلال الفترة من سنة (٣٢٤ - ٣٣٤هـ / ٩٣٦ - ٩٤٥م) وهي فترة استبد بها أمراء الجيش الأتراك بالخلافة وخاصة أثناء فترة أمرة أمير الأمراء أبي الحسن البريدي صاحب واسط ساءت أحوال العراق سياسياً واقتصادياً واجتماعياً [3] .

وقد صاحب هذا الاستبداد وتدهور الأوضاع وعجز الولاة عن دفع أرزاق الجند وعدم استطاعتهم حفظ الأمن في البلاد عندها شعر أهل العراق بهذا العجز الذي يعانيه أمراء الأتراك في إقرار الأمور فأخذوا يتطلعون إلى البويهيين لانقاذهم من ظلم الأتراك وقد أبدوا استعدادهم بالمؤازره والتأييد[4] .

---

(١) التاريخ العباسي والفاطمي/ د. أحمد مختار العبادي، ص١٢٣ .

(٢) عبدالعزيز الدوري "نشوء الأصناف والحرف في الإسلام" مجلة كلية الآداب،ع١ (١٩٥٩) ص٢٤.

(٣) العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص١٠٥ .

(٤) في التاريخ العباسي والفاطمي، د. أحمد مختار العبادي ص١٦٢ .

ومنذ بداية القرن الخامس الهجري أصبح خلفاء الدولة العباسية ألعوبة في أيدي أجناد الفرس والترك والديلم وغيرهم من شذاذ الأرض وآفاقيها وأصبح بأيديهم توليه الخليفة أو عزله أو قتله.

فأضحت بغداد مهددة بالصراع المذهبي والعقائدي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، وصاحب ذلك أن سلطة الخلافة أصبحت اسمية فقط.

كما أن مقدرات البلاد صارت بأيدي هؤلاء المتنفذين من الجند والذين لا هم لهم إلا الظلم والخساسة وقلة الدين وحب الفساد، وجمع الأموال لإرضاء جشعهم[1].

أما في العهد البويهي فيرى المستشرق الفرنسي ماريوس كنار بأن أمراء الأمراء الذين تعاقبوا على السلطة مشغوفين بتأمين السلطة والحفاظ عليها والحصول على الأموال، فإذا كانوا قد بذلوا جهودهم لاستتباب النظام في بغداد، ولقطع دابر الجرائم فهذا لمصالحهم الخاصة، أما رضاء السكان فلم يكن يهمهم إلا قليلاً[2].

لقد أصلح معز الدولة البويهي القنوات وانفق نفقات باهظة على قصره فانتفع الأهالي من هذه الأعمال بعض الانتفاع وأعاد الرفاه إلى عهده الأول في بغداد بعض الوقت.

ولكن القلاقل في عهود أمراء الأمراء السابقين أوقعت ضربة مميتة على رأس رخاء المدينة. وبعد معز الدولة جاء عهد بختيار وكان مجيئه ضئيل الجدوى والفائدة على الحياة الاقتصادية.

---

(١) حكايات الشطار والعيارين ص٨٠ – ٨٦ .

(٢) المستشرق الفرنسي ماريوس كنار "بغداد في القرن الرابع الهجري"، مجلة المورد مج٢، ع٢ (١٩٧٣) ص٢١ .

أما فترة حكم عضد الدولة فقد أعاد الرخاء ولو لفترة قصيرة، ولكن كانت نهاية الحكم البويهي بشكل عام أشبه بالكارثة إذ أدى إلى نقص المساحة المسكونة[1].

فالعبث بالأموال العامة والإهمال الإداري ولجوء السلطة إلى إجراءات المصادرة والغرامات والرسوم الفادحة، وإساءة استعمال السلطة من قبل الموظفين والإخلال بالأمن جراء الحروب الأهلية والاضطرابات والمجاعات التي ابتليت بها بغداد خلال القرنين العاشر والحادي عشر، بالإضافة إلى أعمال العصيان الشعبية والعسكرية وجرائم الغوغاء والعيارين والشطار والكوارث الطبيعية كالفيضانات والحرائق وغزوات الجراد. جميع هذه الأمور كانت عاقبتها ارتفاع الأسعار والبؤس والجوع ونزوح السكان وتؤدي بالتالي إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بغداد خاصة وفي الخلافة الإسلامية بشكل عام[2] .

وبالتالي إلى ظهور حركة الشطار والعيارين وبالرغم من اختلاف العناصر المكونة لهذه الحركات، ففيهم السني، والشيعي والعلوي والكردي، والعباسي والبغدادي فإن هذا يدل على اتساع حركتهم الاجتماعية وتوجيهها ضد رجال الحكم والأغنياء وذلك رغم اختلافهم في النسب أو المنزلة الاجتماعية وما ذلك إلا نتيجة لما كانت تعانيه بغداد من أوضاع سياسية واقتصادية[3] .

أما بالنسبة إلى منطقة بلاد الشام والتي كانت في فترة سابقة حاضره الخلافة الإسلامية في فترة حكم الأمويين، فتشير المصادر التاريخية أن الأوضاع الاقتصادية

---

(١) المستشرق الفرنسي ماريوس كنار "بغداد في القرن الرابع الهجري"، مجلة المورد، مج٢، ع٢ (١٩٧٣) ص٢١ .

(٢) نفس المصدر ص١٨ – ٢٢.

(٣) العامة ببغداد ص٢٨٩ .

تأخرت خلال الفترة (١٣٢هـ - ٣٥٩هـ) عما كانت عليه في العصر الأموي وهذا عائد إلى عدة أسباب منها:

١. أن خلفاء بني العباس وولاتهم في الشام لم يوجهوا اهتمامهم بإصلاحات لتنمية الحياة الاقتصادية ودفع عمليتها إلى الأمام.

٢. خوف العباسيين من نفوذ أصحاب الثروات الكبيرة والمصالح الاقتصادية في بلاد الشام.

٣. لم تعد بلاد الشام مركز الخلافة.

٤. ثقل الضرائب المفروضة على الأراضي دفعت عدد كبير من المزارعين بالنزوح عن أراضيهم وعدم استغلالها.

٥. ازدياد عمليات مصادرة الخلفاء والولاة لأموال العمال والكتاب والتجار والأغنياء[١].

إن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي مرت بها مدن الشام خلال الفترة الواقعة ما بين أواسط القرن الثاني وأواسط القرن الرابع الهجري تدل على ثقل وطأة الحكم العباسي على الناس في أول الأمر ثم ما لبثت السلطة المركزية في بغداد أن أهملت شأن الشام عندما بدأت أمورها بالضعف وإساءة اختيار الولاة الذين أخذوا بالاقتتال فيما بينهم إلى أن تنتهي الأمور بالاتفاق على اقتسام المناطق[٢].

---

(١) د. أمية بيطار "الحياة الاقتصادية في بلاد الشام بين سنتي ١٣٢ - ٣٥٩هـ" مجلة دراسات تاريخية، ع٣، ١٩٨٠م، ص١٢٣.

(٢) د. شاكر مصطفى "الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في العهد الفاطمي"، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، ع٣، ٤ (١٩٧٣) ص١٧٦.

هذه الأمور أدت إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فقد انخفضت عوائد الجباية من الخراج خلال حكم الخليفة المعتصم عما كانت عليه خلال فترة حكم المأمون[1]. وما حصل في منطقة العراق والشام من التدهور والتراجع حصل أيضاً في باقي مناطق الخلافة الإسلامية.

كان القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) قمة وبداية تراجع في التطور الاقتصادي إذ شهد أوج نشاط المؤسسات التجارية والصيرفية وازدهار الزراعة وتقدم فنون الصناعة.

ونتيجة تحكم الجند الأتراك أدى إلى إهمال نظام الري في الفترة السابقة لحكم البويهيين. ولكن الخلافة غزيت في عقر دارها بعد أن تعرض كيانها للتجزئة بالحركات الانفصالية والتسلط الأجنبي مما أدى إلى ارتباك وتمزق، ففي الثلث الأول من القرن الرابع الهجري دخل البويهيون بغداد واقاموا حكماً وراثياً في قلب الخلافة العباسية، فكان ذلك بداية انحراف التطور الاقتصادي ففرضت الضرائب والرسوم وصودرت الأملاك وأهملت أنظمة الري وتعرض التجار للمصادرات وتراجع النشاط التجاري والصيرفي.

إن فترة حكم البويهيين كانت فترة سيادة أجنبية في دار الخلافة، تسلط الأجانب على الحياة العامة في العراق وعملوا على الاستئثار بخيراته دون النظر إلى متطلبات النشاط الاقتصادي أو إلى حاجات المواطنين فأهملوا نظام الري وشلت الفعاليات الاقتصادية وهبط مستوى المعيشة لأهل البلاد[2].

---

(1) د. أمية بيطار "الحياة الاقتصادية في بلاد الشام بين سنتي ١٣٢ – ٣٥٩هـ" مجلة دراسات تاريخية ع٣ (١٩٨٠)، ص١٢٧ .

(2) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص٨٧ – ٩٣.

إن التفاوت الاقتصادي أدى إلى ازدياد نسبة التباين الطبقي بين فئات الشعب وما صاحب ذلك من تدني الوضع المعاشي للمواطنين وإلى قيام حركات اجتماعية وثورات تكشف عن طبيعة الأوضاع القائمة.

وقد شهد المجتمع خلال القرنين الثالث والرابع الهجري ونتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية إلى قيام حركة الشطار والعيارين أو ما سمي بثورات العامة[1] .

(١) نفس المصدر ص٧٢ .

انحراف الفتوة

كان الفتيان في العراق وفارس قد تحولوا منذ فترة النزاع بين الأمين والمأمون أواخر القرن الثاني للهجرة أو قبل ذلك في أواسط القرن نفسه في البصرة والكوفة من جماعة لاهية عابثة إلى جماعة فقيرة نهابه أو مقاتلة واطلق عليهم أحياناً ألقاب السفلة، الأوباش، الرعاع، العراه وأحياناً أطلق عليهم لقب الشطار واللصوص وباعة الطرق.

وقد أصبح عددهم من الكثرة وخاصة في مدينة بغداد. وبذلك شكلت قوة شعبية تبث الاضطراب والرعب في المدينة[1]. وانقلب الفتيان شطاراً وعيارين يَخلوّن بالآداب وينشرون الاضطراب ويخيفون الأمة وهم في ذلك يستندون إلى سند مروي وأقوال منقولة ومذهب يدعّون له القدم ويَجرونْ للفتوة أموراً يدعون أنها لا تتم إلا بها[2] .

وكما تطورت الفتوة عند أرباب الزهد والتصوف كذلك تغيرت عند الراغبين في الدنيا والتشوق إلى اللهو والمتعة وانقلبت الشجاعة في المواقف المشرفة إلى شطاره وعياره في فتوة مزيفة. فالشراب والألعاب والغناء والتشطر والإرهاب صارت من صفات الفتوة الثانية اللاهية مع الاحتفاظ ببعض الصفات الأصلية كالوفاء والنجدة والسخاء.

وكان في أواخر عصر بني أمية وتحديداً في الثلث الأول من القرن الثاني الهجري تكونت بالشام والعراق طبقة من الناس يعرفون باسم الفتيان يجتمعون للهو والسكر والغناء، وكان الغناء من مظاهر لهوهم[3] .

---

(١) د. مصطفى شاكر (الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق)، مجلة كلية الآداب والتربية، ع٣+٤ (١٩٧٣) ص١٧٧ .

(٢) مصطفى جواد "الفتوة وأطوارها"، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥ (١٩٥٨) ص٥٢ .

(٣) مقدمة كتاب الفتوة، د. مصطفى جواد ص١٣ – ١٤.

وعلى الرغم من الصفات المذمومة التي وصفوا بها مثل الرعاع، الأنذال إلا أن هؤلاء الشباب تميزوا بصفات تبعدهم عن أخلاق اللصوص العادين كالشجاعة والشهامة والصبر والمحافظة على الحرم إلى غير ذلك من الصفات[1] .

وكان من الطبيعي أن تلقى هذه الفتوة العياره مقاومة شديدة من ولاة الأمور والحكام لاخلالها بالأمن وازالتها الاستقرار وانتهاب الأموال وسفك الدماء المحرمة باسم الدين أو المذهب[2] .

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٦١هـ وقعت في هذه السنة فتنة عظيمة وتحزب الناس وظهر العيارون وأظهروا الفساد وأخذوا أموال الناس وكان سبب ذلك هو استنفار العامة إلى الغزو فعندما اجتمع الناس وتكاثروا تولّد بينهم من أصناف النبوية والفتيان والسنة والشيعة والعيارين، فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور، ومن جملة الأماكن التي احترقت محلة الكرخ، فقد كانت مركز التجار والشيعة[3] .

ويجب أن نلاحظ أنه في القرن الرابع الهجري تعاظم الفرق بين الفتوة النظرية والفتوة العملية واختلاف الأعمال عن الأقوال، أي عدم التزام الفتيان بقانون الفتوة ومخالفتهم لذلك[4] .

روى القاضي التنوخي قصة حدثت لأبيه وكان قاضياً، يقول الأب: خرج إلينا ذات مرة لصوص البحر في عدة سفن ومعهم القسي والنشاب وهم نحو مائة نفس كالعسكر العظيم واضطر أمام هول السلاح أن يستسلم وأن يحض رفاقه بالاستلام إيثاراً

---

(١) الدكتور أحمد مختار العبادي، (الطوائف الصناعية أو الأصناف)، مجلة عالم الفكر، مج١١، ع١ (١٩٨٠ –١٩٨١) ص١٣٨ .

(٢) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية/ ص٢٧.

(٣) الكامل في التاريخ ج٧ ص٤٥، د. مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥ (١٩٥٨) ص٥٥ –٥٦ .

(٤) د. مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥ (١٩٥٨) ص٥٥ .

للسلامة وطلباً للنجاة بحياتهم، وبينما هو على هذه الحالة والسفن تسلب والأموال تنهب أقبل رئيس اللصوص على السفينة التي كان القاضي قابعاً بها وحين رآه رئيس اللصوص منع أصحابه من انتهاب شيء من السفينة التي هم بها، وصعد إليه وحده فأخذ يتأمل القاضي، ثم انكب عليه يقبله فلم يستطع التنوخي معرفته وعندما كشف اللص عن وجهه وعرفه بنفسه، تذكرة وبأنه كان عبداً له[1] .

إن هذه الحركة المعارضة الرافضة المتمردة على وضعها السياسي والاجتماعي والاقتصادي سوف تُستقطبَ أو بالأحرى تُستغَّل من قبل الأمراء السلاجقة الطامعين في سلب أموال الناس وثرواتهم عنوة واقتداراً، فاندسوا بين الفتيان العيارين وسلبوا ونهبوا وقطعوا الطرق بأسمهم يدفعهم إلى ذلك خليفة مستخذل وسلطان سلجوقي باطش بدءاً من السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه الذي وصف بأنه يعاقر الخمر ليلاً، ونهاراً لا يعرف من السياسة شيء. فأخذت كل جماعة بالاحتماء بأمير من أمراء السلاجقة أو بأبن وزير أو كبير. فأخذوا أموال الناس وكانوا يكبسون الدور ليلاً بالشموع ويدخلون الحمامات وقت السحر فيأخذون ثياب المستحمين إلى غير ذلك من الأعمال.

وأنهم كانوا وتحت قيادة هؤلاء الأمراء والكبار يدخلون الأسواق جهاراً ونهاراً ويفرضون على أهلها الأتاوات الباهظة والذي يمتنع يهدد بحرق حانوته، بل تجاوزوا ذلك وأخذوا يهاجمون الدور السكنية حتى أصبح الناس لا يستطيعون الخروج من منازلهم ليلاً.

كما أنهم أخذوا يتمادون بأخذ بضاعة التجار فاغلقت الدكاكين والخانات واختلت الأمور[1] .

واتخذ اللصوص وقطاع الطرق الفتوة سبيلاً إلى تلصصهم وسلبهم ونهبهم، وقد ذكر بعض المؤرخين ما حدث مع أبا نصر الفارابي الفيلسوف في القرن الرابع الهجري

---

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع٤٥ (١٩٨١) ص٥٧ – ٥٨ .

(٢) المصدر السابق ١٥٢ – ١٥٣ .

عندما ارتحل من دمشق إلى عسقلان استقفاه بعض اللصوص في الطريق وما حصل له معهم[1] .

وفي سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م والسنوات التي أعقبتها كان الحاكم وأعضاء من أسرة الوزير وأسرة الخليفة من اتباع زعيم الفتيان وعندما يشتد ساعدهم كانوا يقومون بأعمال السلب والنهب في السوق[2] .

أما كلودكاهن فيورد الرأي الآتي قائلاً:

ليس لنا أن ندرس بشكل أوسع من وجهة نظرنا الحاضرة أيديولوجيا الفتوة هذه التي تبنت حتى الكلمة الأكثر إفساداً وهي العياره (عياري في الفارسية)، أنما علينا ببساطة أن نذكر أن التسويق الشعبي الذي قامت به من أجل نشر هذه المفاهيم بشكل محبب يساعد على رفع نوع الخطر الذي استطاع حتى ذلك الحين أن يلقي بثقله عليها في بعض أوساط الارستقراطية والأصولية، وبعد أمعان النظر يتبين أن الصفات المعروفة حيث يهاجم ابن الجوزي الفتيان فهي لا تشكل على الإطلاق هجوماً على الفتوة ولكنها بالعكس وفقط جهد من أجل الإيحاء بأن تصرف الفتيان الأفراد هو نتيجة انحراف عن الفتوة الحقة، وهو نوع من الدجل فهو يأخذ عليهم بشكل خاص السرقة والقتل من أجل قضايا الشرف وآخرون يتهمونهم بالانحراف الجنسي من هذا الموقف قد يمكن أن ينتج باستمرار معارضته للفتيان، ولكن قد تتولد منه أيضاً فكرة الضبط، فكرة إصلاح هذه الفتوة باسم فتوة علياً[3] .

---

(١) مقدمة كتاب الفتوة / د. مصطفى جواد ص٢٨ .

(٢) Taeschner, Fr.,Futuwwa, E.I,[٢] Vol. II P.P ٩٦١-٩٦٩

(٣) كلودكاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى) مجلة الاجتهاد، ع٦ (١٩٩٠) ص١٧٦ – ١٧٧.

وخلال القرون الثلاثة من الرابع إلى السادس الهجري كانت مليئة بقصص القلاقل التي اشاعوها أو ساهموا في إقامتها [1] .

(١) Taeschner, Fr.,Futuwwa, E.I٢, Vol. II P.P ٩٦١-٩٦٩

ظهور حركة الشطار والعيارين

تعريف العيار: العيار في اللغة هو الرجل الكثير المجيء والذهاب في الأرض، وقيل هو الذكي الكثير التطواف والحركة.

يقال غلام عَيارٌ نشيط في المعاصي وغلام عَيارٌ نشيط في طاعة الله.

والعرب تمدح بالعيار وتُذمّ به.

وعار الرجل في الأرض يعير بالسيف، وَعَار الرجلُ في القوم يضربهم بالسيف. وقال الأزهري عار الرجل يعير عيراناً وهو تردده في ذهابه ومجيئه.

وربما سمي الأسد بالعيار لتردده ومجيئه وذهابه في طلب الصيد[١] .

تعريف الشاطر: الشطر نصف الشيء، وشطره جعله نصفين، وشاطره ماله ناصفه، ويقال هو الذي شطر على أهله وانفصل عنهم وتركهم مراغماً أو مخالفاً وأعياهم خبثاً ومكراً.

وخلاصة القول أن لفظ الشاطر يطلق على الرجل الواسع الحيلة والدهاء الذي بعدَ أو أبعد عن أهله واقترب من الله بالطاعة أو ابتعد عنه بالمعصية، وهو بهذا المعنى الاصطلاحي دخل أيضاً التاريخ السياسي والاجتماعي والديني في الإسلام وارتبط لفظ العيار أشد الارتباط بحركة الفتوة الإسلامية فالصوفية[٢] .

ترجع البدايات الأولى لظهور العيارين والشطار إلى أيام الخليفتين أبي عبدالله محمد المهدي (١٥٨/١٦٩هـ-٧٧٥م / ٧٨٥م)، وأبي جعفر هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٤هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٨م). حيث الإشارة إليهم باسم الصعاليك والدعار. وإذا كان المهدي والرشيد قد تمكنا من الحد من امتداد موجة العيارة والشطارة إلى بغداد، فأن الأمين سمح لهم بذلك أبان الفتنة بينه وبين أخيه المأمون.

---

(١) لسان العرب، مادة عير. العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص٢٧ .

(٢) لسان العرب / مادة شطر. العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص٣٠ .

وصار العيارون والشطار من المقربين إليه والمدافعين عنه عندما استنجد بهم أثناء محنته وقادوا مقاومة العامة ببغداد وأبلوا أثناء الحصار بلاء حسناً وظلوا على وفائهم للأمين[1].

أن أول ذكر للعيارين يقع في حوادث شهر ذي الحجة ١٩٦هـ / ٨١٢م أثناء حصار طاهر بن الحسين قائد المأمون لبغداد والتي دامت أربعة عشر شهراً.

وكان ظهورهم على شكل جماعات مسلحة لها تنظيم عسكري أشبه بتنظيم الجيش الاعتيادي.

وقد جرى ظهور العيارين على المسرح السياسي عندما تحطمت الجيوش النظامية للخليفة الأمين أمام جيوش أخيه المأمون بقيادة طاهر بن الحسين إذ لم يجد الأمين أمامه سوى العيارين والشطار من أهل الفتوة والنجدة ليمدوا له يد العون في محنته.

وعندما شدد طاهر بن الحسين الحصار على الأمين تخلى عنه القادة والجند، فلم يبقى معه للدفاع عنه إلا باعه الطريق والعُراة وأهل السجون والأوباش والرعاع والطرارين وأهل السوق. فقد أباح لهم قائد الأمين حاتم بن الصقر النهب[2].

وكانوا بالفعل بتنظيمهم الشعبي خير من يقود لواء المقاومة الشعبية داخل المدينة المحاصرة، ولذلك عرفوا بالمحمدية نسبة إلى محمد الأمين، كما عرفوا أيضاً بالصعاليك لفقرهم المدقع، وبالعُراة لضعة لباسهم وسلاحهم[3].

متسلحين بالحجارة والهروات ولا يحميهم سوى خوذاتهم المصنوعة من سعف النخيل يقفون دفاعاً عن الأمين ضد هجمات الخراسانيين الذين انحازوا إلى أخيه المأمون.

---

(١) العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص٨١ – ٨٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج٧ ص٥٢، وانظر أيضاً الفتنة في عهدي الأمين والمأمون، رسالة ماجستير، أحمد الخطيمي، الجامعة اليسوعية، ١٩٨١م.

(٣) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٢٨٦، العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص٣٧ – ٣٨.

وبعد ذلك بحوالي نصف قرن نجدهم يقفون إلى جانب الخليفة المستعين ضد جيوش المعتز[1] .

ثم كان ثاني ظهور للعيارين بشكل جماعات كبيرة منظمة ومسلحة في حصار بغداد الثاني سنة ٢٥١هـ / ٨٦٥م.

ولما حلت سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م وعلى آثر اضطرابات وقعت ببغداد ظهرت كتل وفئات كثيرة من العيارين[2] .

ثم استمرت بعد ذلك تنظيمات العيارين فنرى أنه في سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م يصبح لهم في كل حرب أمير، وفي كل محلة متقدم.

وتشير الروايات التاريخية إلى دقة تنظيماتهم، حيث ظهر من خلال هذا التنظيم التدرج العسكري في الرتب والمسؤولية[3] .

وقد وصفهم الشاعر أبو يعقوب الخريمي بهذه الأبيات:

يحرقهـا ذا وذاك يهدمهـا
ويشتفي بالتهـاب شـاطرها

والكـرخ أسواقهـا معطلـة
يستـن عيارهـا وعـائدها

أخرجت الحرب من سواقِطها
آساد غيلٍ غلباً تساورها

(1) Taeschner, Fr.,(Futuwwa), E.I٢, Vol. II P.P ٩٦١-٩٦٩

(٢) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٢٨٦ – ٢٨٧.

(٣) نفس المصدر ص٢٩٠ – ٢٩٢.

من البواري تراسها ومن الـــ

صوف إذا ما عدت أساورها

كتـائب الهرش(*) تحت رايتــه

سَاعدَ طرارَها ومقامرهــا[1]

ومنذ النصف الثاني الهجري تبلورت الفتوة في تيارين، الأولى فتوة العيارين والشطار وهي فتوة عملية عنيفة، وكان أول ظهور لهذه الفئة أبان الفتنة بين الأمين والمأمون. والثانية الفتوة الصوفية.

وأصبح شعار العيارين السراويل بينما شعار الفتوة الصوفية المرقعة، وقد أشار ابن الجوزي إلى الاتجاهين المذكورين، وندد بفتوة العيارين قائلاً «ومن هذا الفن تلبيسه على العيارين في أخذ أموال الناس، فإنهم يسمون بالفتيان، ويقولون الفتى لا يزني ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة، ومع هذا لا يتحاشون عن أخذ أموال الناس ويسمون طريقتهم هذه فتوة[2] .

أما الشطار فأول إشارة عنهم تتفق مع بدء الحديث عن العيارين، ثم تختلط أخبارهم بعد ذلك بأخبار قرنائهم العيارين على سبيل المشاكلة[3] .

ولقد استعملت كلمة فتى للدلالة على العيار والشطار وهذا يؤكد الترابط بينهم يقول أحد الشعراء يصف دور العيارين:

(*) الهرش: أحد قادة الأمين.

(١) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٢٨٦ .

(٢) د. عبدالعزيز الدوري (نشوء الأصناف والحرف في الإسلام) مجلة كلية الآداب، ع١ (١٩٥٩) ص٣٠.

(٣) العيارون والشطار البغداده في التاريخ العباسي ص٣٨ .

ليس يدرون ما الفرار إذا الأبـ
ـطال عاذوا من القنا بالفرار
واحد منهم يشد على الـ
ـفين عريـان ما له من ازار
ويقول الفتى إذا طعن الطعـ
ـنة خذها من الفتى العيـار[1]

كان العيارون والشطار من العامة، وبينهم أهل الصنائع والحرف والباعة، وكانوا يخرجون للقتال بتعبئة شبه عسكرية ولهم عرفاء ونقباء وقادة، وتؤكد أخبار العيارين والشطار على فتوتهم، وتترادف كلمة الفتى مع العيار والشاطر.

ولكن تنظيمهم الداخلي هو تنظيم حرفي ومراسيم الانتماء تشبه مراسيم الأصناف وهي ذاتها أساس مراسيم الفتوة[2] . ومع أن الأسواق تضررت بحركتهم إلا أن هدفهم كان التجار لا الصناع، فهم لا يتعرضون لصغار التجار ولهم مبادئ أخلاقية منها المرؤة والرفق بالضعفاء والفقراء وحماية النساء، وكانوا يطلقون على طريقتهم الفتوة، ويعتزون بالشجاعة والكرام.

ونظرتهم إلى الأغنياء والتجار بأنهم أناس جشعون سيطروا على الأموال دون وجه حق وأن السلطة تحميهم وهذا يؤكد الجانب الاجتماعي لحركتهم[3] .

فالعيارون والشطار بالمعنى السياسي والاجتماعي فئة مطحونة جمعت بين الصعلكة والدروشة ظهرت فيما بين أواخر القرن الثاني الهجري وأواسط القرن السابع الهجري في

---

(١) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٢٨٧ – ٢٨٨ .

(٢) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص٧٧ .

(٣) نفس المصدر ص٧٧ – ٧٨ .

فارس والعراق وعلى غرارهم ظهرت فرقة الأحداث بالشام والحرافيش والزعار والعياق والفتوات في مصر.

وكانت هذه الجماعات بمثابة ميليشات شعبية مجاهدة أو ناهبة، ففي بعض الظروف كان ظهور العيارين والشطار كمجاهدين في سبيل العقيدة ونجدهم على حدود الدولة الإسلامية.

بينما شكل آخرون فريقاً في المدن يظهرون عند ضعف الحكومة المركزية ويوقعوا الرعب والرهبة في قلوب الطبقات الثرية، وكانت الفتن المذهبية والقلاقل السياسية والاضطرابات العنصرية مرتعاً خصباً لعملهم[1] .

إن صفات الشطار والعيارين التي زخرت بها المعاجم اللغوية واثبتتها المصادر التاريخية والأدبية تنحصر في التفتي والسرقة وقطع الطريق.

فالتلصص القائم على الفتوة كأسلوب عنيف لمقاومة القهر الاجتماعي والسياسي بالقوة مع الاحتفاظ بأخلاق الفتيان والفرسان[2] .

قامت حركة العيارين والشطار التي اتخذت من مبادئ الفتوة مثلها الأخلاقية واتجهت وجهة ثورية، وبدأت بشعائر ومراسيم اللباس[3] .

ومن الطبيعي التساؤل عن العلاقة بين الفتيان الذين تكلمنا عنهم وبين العيارين الذين نتكلم عنهم الآن.

لقد قدمت النصوص دليلاً قاطعاً بأن العديد من الفتيان كان يدّعوّن بالعيارين أو ما شابه ذلك، ولذلك نجد أن بعضهم أطلق على نفسه تسمية الفتيان أو اتباع الفتوة.

---

(١) العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص٣٥ - ٣٧.

(٢) العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص٣١ (هذه الصفات كالشجاعة والشهامة.. إلخ مَرّ ذكرُها).

(٣) نشوء الأصناف والحرف في الإسلام ص٣٥.

إن التطابق الجزئي بينهما ليس موضع خلاف والسؤال الوحيد الذي يجب معرفته هو هل معرفة أو عدم معرفة التطابق ضروري، ومدى أهمية ذلك[١] .

ومما يدل على صلة العيارين والشطار بالفتوة الصوفية، إن كثيراً من الفتيان العيارين أو الشطار الذين نعرف شيئاً عن تاريخ حياتهم كانوا أما صوفية أو ممن لهم ميل إلى الطريق الصوفي كما يظهر من الجدال بين نوح العيار رئيس الشطار بنيسابور وحمدون القصار زعيم الملامتية بتلك المدينة[٢] .

إن حقبة الاضطرابات التي ميزت القسم الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي كانت غنية بمظاهرات العيارين والذين كانوا أما متواطئين أحياناً مع اللصوص كما حصل في سنة ٣٠٦هـ وطوراً مساعدين للزعماء السياسيين ضد نكوص الفتوة العامة النظامية كما في حوادث سنة ٣١٧هـ/ ٣١٩هـ والتي شارك بها العيارين[٣] .

وعندما تحركت أسعار السلع في آخر سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م اضطربت العامة ببغداد واستطاعوا منع الإمام من إقامة صلاة الجمعة، كما أنهم هدموا المنابر واحرقوا الجسور، وعاثوا فساداً في مجالس الشرطة، مما دفع السلطان آنذاك بمحاربتهم فَتَمَّ القبض عليهم وضربوا[٤] .

وكان العيارون يتدخلون في الخلافات التي تقوم بين التجار، مما اضطر النسوي مدير شرطة بغداد إلى الهرب لعدم استطاعته السيطرة عليهم، إلا أنهم قاموا بمحاصرته في منزله[٥] .

---

(١) Taeschner, Fr.,(Futuwwa), E.I٢, Vol. II P.P ٩٦١-٩٦٩

(٢) العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص٣٢.

(٣) كلود كاهن "الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى" مجلة الاجتهاد، ع٦ (١٩٩٠) ص١٥٠.

(٤) المنتظم ج١٣ / ص١٩٤ .

(٥) كلودكاهن "الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى" مجلة الاجتهاد، ع٦ (١٩٩٠) ص١٥٣.

وفي سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م حصل حريق بباب الشام وسويقة نصر ومنطقة الحذائين بالكرخ وطاق(*) الحراني ومات نتيجة هذه الاضطرابات خلق كثير(١) .

وفي رمضان سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م كبس اللصوص منزل الناقد الصيرفي فأخذوا أثاث وأوراق.

وفي سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م وقع حريق عظيم في منطقة الكرخ وطريق البزازين ذهبت به أموال كثيرة للتجار(٢) .

وفي سنة ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م كانت الفتنة متصلة بين السنة والشيعة وقتل من الطرفين أعداد كثيرة وحصلت نتيجة ذلك الحرائق بباب الطاق(٣) .

وفي سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م حصلت مشاجرات في منطقة الكرخ اسهم بها الرعاع والعيارين(٤) .

وفي سنة ٣٧١هـ/ ٩٨٢م حصل حريق في منطقة الكرخ (سوق الاساكفة) والحذائين واحترق أناس كثيرون نتيجة الاضطرابات(٥) .

وفي سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م وقعت مصادمات بين السنة والشيعة وحصلت عدة حرائق في عدة أحياء وقد شارك العيارون بذلك(٦) .

(*) طَاقُ الحرّاني: محلة ببغداد بالجانب الغربي، معجم البلدان ج٤ ص٥.

(١) المنتظم ج١٣ / ص١٩٩.

(٢) نفس المصدر ج١٣، ص٢٠٠، ٣٤٩.

(٣) المنتظم، ج١٤ ص١١٨ "يسمّى طاق أسماء بالجانب الشرقي من بغداد بين الرُصافة ونهر المعلّى، معجم البلدان ج٤ ص٥".

(٤) المستشرق الفرنسي ماريوس كنار "بغداد في القرن الرابع الهجري" المورد، مج٢، ع٢ (١٩٧٣) ص١٧– ١٨.

(٥) المنتظم ج١٤ ص٢٨١ .

(٦) المستشرق الفرنسي ماريوس كنار "بغداد في القرن الرابع الهجري"، المورد مج٢، ع٢ (١٩٧٣) ص١٧ – ١٨.

واستمرت ثورات العامة ببغداد ففي سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م اتصلت الفتنة بين السنة والشيعة ونهبت المحالات التجارية واحترقت بعض البيوت[١] .

وتوسعت فتوة العيارين وكثرت فئاتها وأضراباتها، وأشار ابن الأثير إلى ذلك في حوادث سنة ٣٦١هـ حين حصلت فتنة ببغداد بسبب استنفار العامة للغزو، ونهبت الأموال[٢] .

وفي سنتي (٤١٦هـ / ١٠٢٥م – ٤١٧هـ / ١٠٢٦م) هجموا على الدور نهاراً واستعملوا المشاعل ليلاً وكانوا يأخذون ذخائر الناس وكل ما يجدوه.

وفي ليلة السبت مستهل صفر سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م كبس جماعة من العيارين يزيد عددهم عن خمسين رجلاً أحد الأشخاص وأخربوا الدور وقتلوا ولم يتجاسر أحدٌ على ردعهم.

وفي نفس الشهر كثرت الكبسات في الجانب الشرقي من قبل البرجمي متقدم العيارين واستطاعوا نهب المخازن والمنازل[٣] .

وفي سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م اندلعت نيران حرب حقيقة في بغداد بين السنة والشيعة فاشعلت النيران أسواق الكرخ وزاد الطين بله انتشار العيارين في جميع أرجاء المدينة وانهماكهم بأعمال السلب والنهب[٤] .

وفي سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣١م ثار أهل الكرخ على العيارين، فهربوا واستطاع أهل الكرخ نهب بيوت العيارين وأسلحتهم كما أنهم طلبوا مساعدة السلطان في ذلك[٥] .

---

(١) المنتظم ج١٥ / ص١٢٠.

(٢) الكامل في التاريخ،ج٧،ص٤٥، د.عبدالعزيز الدوري (نشوء الأصناف والحرف في الإسلام ص٣١)

(٣) المنتظم ج١٥ ص٢٠٤.

(٤) المستشرق الفرنسي ماريوس كنار "بغداد في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، المورد، مج٢، ع٢ (١٩٧٣) ص١٧ – ١٨.

(٥) المنتظم ج١٥ ص٢٢٣.

وقد تكررت تعديات العيارين في الأعوام ٤٢٤هـ ٤٢٥هـ ٤٢٧هـ ٤٢٨هـ ٤٤٣هـ ٤٤٥هـ ٤٤٩هـ ٤٥٦هـ ٤٧٩هـ ٤٩٠هـ ٥١٤هـ ٥١٥هـ ٥٣٠هـ، ٥٦٤هـ[١].

وفي سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م اشتد أرهاب العيارين بقيادة شخص اسمه ابن بكران واحرقت بعض الأحياء التي يسكنها شيعه[٢].

إن هجمات العيارين كادت أن تكون سنوية طيلة القرن الخامس وهي موجهة ضد الأغنياء ورجال الحكم.

والدليل على ذلك عندما كتب بختيار إلى ضبه بن محمد الأسدي وهو من أهل عين التمر يأمره بالإغارة على أطراف بغداد ومنع المؤن عنها، فأرتفعت الأسعار، وسار العيارون والمفسدون فنهبوا المدينة[٣].

وكان ضبه يسلك سبيل اللصوص وقطاع الطرق وقد نهب مشهد الحسين واستطاع عضد الدولة محاصرته والاستيلاء على أمواله وأهله وعوقب نتيجة أعماله[٤].

ونتيجة خوف التجار وأصحاب الثروات من سطوة العيارين وعدم ثقتهم بقوة الحكومة لضعفها وعجزها عن تأمين الحماية لهم فلجأوا إلى مداراة العيارين وملاطفتهم وذلك اتقاءاً لشرهم[٥].

لقد خرق العيارون هيبة السلطان وسرقوا وأراقوا الدماء واحرقوا الدور[٦].

---

(١) المنتظم ج١٥ (الصفحات ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٥٣، ٢٥٦، ٣٢٩، ٣٤٠/ ج١٦ ص٢٥٦، ص٢٥٩ / ج١٧ ص٣٩، ص١٩٤، ص٣١٠ / ج١٨ ص١٨٢، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٣٠٦.

(٢) جيرارد زالنغر "الفتوة هل هي الفروسية الشرقية" دراسات إسلامية ص٢٣٠.

(٣) الكامل في التاريخ ج٧ ص٥٩.

(٤) نفس المصدر ج٧ ص١٠٣.

(٥) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٣٠٢ – ٣٠٣.

(٦) المنتظم ج١٥ ص١٧٠ – ١٧٧.

لقد استمر وجود العيارين والشطار طيلة القرن الخامس الهجري وما بعده وذلك من خلال السرد السابق عن حركتهم، ولكن من الصعوبة إيجاد فصل بين العيار والشاطر فكل منهما يدل على الآخر وما ذلك إلا كونهما ظهراً في وقت واحد، كما أنه لا يوجد دليل على أنهما نشأ منفصلين ثم اتحدا فيما بعد.

إلا أن اسم العيار كان هو الغالب في الاستعمال طيلة القرن الخامس الهجري بالرغم من المحاولات للتفريق بينهما وأيهما أكثر انتشاراً من الآخر في الخلافة الاسلامية أو أيهما أطول بقاءاً من الآخر[1] .

وقد كانت حركة العيارين موجهة ضد السلطان وأصحاب الأموال، فقد ركزوا هجومهم على البارزين والتجار وجبوا الأسواق وما صاحب ذلك من الحرق والدمار وأن هدفهم الأساسي كان التجار لا أهل الصنائع[2] .

ومن خلال دراسة نشوء العيارين فأن العامة هم أول من يدفع ثمن هذه الأوضاع السياسية المتردية ولم تحاول الدولة العباسية ترضيه العامة كما فعلت مع الجند عندما يقومون بأعمال الشغب[3] .

لقد قامت العامة في القرن الخامس الهجري بعدة ثورات أخذت طابعين متميزين عن بعضهما:

أولهما: حركات ثورية عنيفة قام بها جماعة من العامة أطلق عليها اسم العيارين والشطار وهي موجهة الى السلطة الحاكمه وأصحاب الأموال.

وثانيهما: ثورات اشتركت فيها العامة وكانت موجهة إلى السلطة الأجنبية كالبويهيين والسلاجقة[4] .

---

(١) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٢٨٧ — ٢٨٨.

(٢) الدكتور عبدالعزيز الدوري "نشوء الأصناف والحرف في الإسلام" مجلة كلية الآداب، ع١ (١٩٥٩) ص٢٩.

(٣) محمد رجب النجار "حكايات الشطار والعيارين" ع٤٥ (١٩٨١) ص٨٧ .

(٤) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٢٨٦.

ولم تكن حركة العيارين إلا الجانب الثوري من نشاط العامة وأهل الصنائع فهي حركة شعبية.

وكما يبدو فللعيارين تنظيمات سرية كانت ممهدة لتنظيمات الفتوة والأصناف فيما بعد ويورد التنوخي خبراً عن منظمه العيارين الفتيان تعود إلى القرن الثالث الهجري ويبين بأن لهم نادٍ خاص يجتمعون فيه ولهم لباس يتميزون ومراسيم الدخول بالتنظيم تشبه مراسيم الفتوة كشرب الكأس والشد[1] .

وكانت العامة في المدن الكبرى خَليطٌ من مختلف الشعوب والألوان والعقائد جاءوا للعمل والبحث عن الرزق، وقد بدأ العامة بلعب دور مهم في بغداد كحفظ النظام خلال الفوضى التي سادت بغداد، كما أنضم الحرفيون إلى جماعة العيارين والشطار وأيضاً بينهم السني والشيعي[2] .

إلا أنه حصل تراجع في حركة العيارين والشطار فتشير المصادر التاريخية أنه بعد عصر المعتصم وإلى آخر العصر العباسي الأول حيث حكم في هذه الفترة خلفاء أقوياء فلا نسمع شيئاً عن حركة العيارين مما يوحي بتماسك الدولة وثبات سلطتها [3] .

أما في فترة تسلط العنصر التركي على مقاليد الأمور في بغداد، فقد انتقلت الأمور من أيدي الخلفاء إلى أيدي القادة الأتراك وأصبحت الخلافة العباسية اسمية فقط.

هذا الأمر لم يروق للعيارين الذين أخذوا بالتحرش بالاتراك ومارسوا عمليات النهب سيما وأنهم عارضوا تسلط العنصر الفارسي والتركي.

---

(١) د. عبدالعزيز الدوري "نشوء الأصناف والحرف في الإسلام" مجلة كلية الآداب، ع١ (١٩٥٩) ص٢٩.

(٢) د. الدوري "نشوء الأصناف والحرف في الإسلام"، مجلة كلية الآداب، ع١ (١٩٥٩) ص٢٤ – ٢٥، د. أحمد مختار العبادي (الطوائف الصناعية أو الأصناف) مجلة عالم الفكر مج١١ (١٩٨٠/ ١٩٨١) ص١٣٨،دائرة المعارف الإسلامية/ جـ٢/ ص٩٦٢.

(٣) العيارون والشطار البغاده في العصر العباسي ص٨٦ .

وظل موقف العيارين متأرجحاً ينصرون شخصاً ضد آخر، فنجدهم على سبيل المثال مع محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين ضد الأتراك وقبلها كانوا ضد طاهر بن الحسين عندما كان قائداً للمأمون.

وتارة مع المستعين ضد المعتز، ومع ثورة الزنج ضد الخلافة.

أما في خلافة المعتضد فقد ازداد نشاطهم نتيجة كثرة الاضطرابات واستمروا في موقفهم المعادي للدولة.

ففي بغداد نرى العيارين يبرزون من خلال الغموض في الفترات التي تراخت فيها السلطة فخلال الفترة الواقعة ما بين القرنين الرابع والسادس الهجري كانت مليئة بالقلاقل التي ساهم العيارين والشطار في إقامتها [١] .

لم يقتصر وجود العيارين في بغداد فقط وإنما كان لهم تواجد في البصرة، كما أننا نجدهم في سامراء، فعندما ثار الأتراك على الخليفة العباسي المستعين وأضطر تحت ضغط الأتراك للتخلي عن سامراء متجهاً إلى بغداد، احتضنه العيارون ونصروه[٢].

وعندما ثار الزنج في خلافة المهتدي والمعتمد اختار العيارون جانب الدولة، وفي خلافة المعتضد انقلبت الدولة عليهم واضطهدتهم وتحولوا إلى جماعة نهابه وقطاع طرق[٣].

تركز وجود الشطار والعيارين في مدينة بغداد حيث توجد القوى الحكومية والارستقراطية والتي ساندت بدورها العيارين للعب دور المعارضة القانونية نتيجة الظلم الاجتماعي والقهر السياسي الحاصل.

---

(١) Taeschner, Fr.,Futuwwa, E.I,[٢] Vol. II P.P ٩٦١-٩٦٩

(٢) دائرة المعارف الإسلامية / جـ٢/ ص٩٦١. .

(٣) العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص١٠٩.

ولكن الصورة التي تقدمها الوثائق عن مدن أخرى تختلف تماماً، فلم تخلو مدينة واحدة في بلاد فارس ومنطقة آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين من وجود للعيارين وقد برزوا بنفس الصورة التي برزوا بها في بغداد مركز الخلافة، فأحياناً ينظّمون إلى البرجوازيه ضد أمير محلي كما حصل على الحدود السامانية، وأحياناً اعتمدت عليهم البورجوازيه في مقاومة السلطان خاصة في فترة الحكم التركي.

إن أكبر نجاح لهم في سيتان فقد كان ارتفاعهم إلى مستوى سلطة الأمير من خلال سلالة قفزت من بينهم كالصفارين الذين دعموا قوات الخليفة خلال صراعه مع الخوارج.

وفي مناسبات أخرى كانوا قادرين على تنصيب الأمير أو عزله أما في معظم المدن التي لم يكن بها شرطة فقد شكلوا مليشيات محلية يعتمد عليهم في ضبط الأمور[١].

وفي مواقف أخرى نجدهم مرابطين يقومون بواجب الجهاد على حدود الدولة الإسلامية فنجدهم ثائرين على الأوضاع السائدة فلا عدالة اجتماعية ولا عناية بالطبقات الفقيرة ولا حكومة مركزية مستقرة لذلك أباحوا لأنفسهم بالعصيان ومخالفة القوانين والخروج على العرف المألوف، فهاجموا رجال الدولة ونكلوا بهم، وسلبوا الأثرياء أموالهم وأملاكهم حتى لقبوا بالعيارين والشطار.

وتحدثنا المصادر التاريخية والأدبية أن العيارين كانوا ينزعون إلى حماية الفقراء وأسعادهم بالاستيلاء على أموال الأغنياء وتوزيعها وهذا يعني أنهم أخذوا على عاتقهم مهمة إصلاح الخلل الاجتماعي والاقتصادي بالقوة[٢].

إن آخر ذكر للعيارين هو في خلافة المستعصم بالله أبي أحمد عبدالله (٦٤٠هـ - ٦٥٦هـ / ١٢٤٢ - ١٢٥٨م) آخر الخلفاء العباسين ببغداد.

---

(١) Taeschner, Fr.,Futuwwa, E.I,[٢] Vol. II P.P ٩٦١-٩٦٩

(٢) العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص٢٦ - ٢٧.

يتبين إذن عند دراسة بوادر ظاهرة الشطارة والعيارة في التاريخ العربي أو في الأدب العربي القديم أننا لسنا أمام نوع من اللصوص التقليدين الذين ينبغي أن تطبق عليهم الحدود الشرعية ولكننا أمام نوع من اللصوص - الثوار إذا جاز هذا التعبير ولعل هذا الذي دفع "ماسينون" إلى وصف هذا النوع من البطولة في التاريخ العربي بالبطولة خارج القانون ووصف فروسية أصحابها بالفروسية المتمردة اتخذ أصحابها اللصوصية وسيلة من وسائل التمرد الرافض للواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

فثوار سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م إنما كانوا جماعة من اللصوص، ولعل بعض أعيان المجتمع البغدادي توسلوا بالفتوة لزيادة الاتباع حولهم[١] .

أما الدكتور "محمد رجب النجار" فيرى أن حركة الشطار هي حركة شعبية أصيلة تضم في صفوفها أهل الأصناف والصناع ظهرت من بين العامة فتمردت على الدولة والمجتمع واستهدفت الثورة على السلطة الحاكمة وأصحاب الثروات والتجار وذلك عن طريق احتراف اللصوصية والعيارة[٢] .

كما أنه يرى أن أغلب الشطار والعيارين هم شرائح اجتماعية متمردة لا عدوانية، خيره لا شريره دفعها القهر المادي والاجتماعي والسياسي إلى اتخاذ موقف رافض لواقع العصر وأن اتخذوا اللصوصية وسيلة للتعبير عن هذا الرفض مما دفع العامة والفقراء للتعاطف مع حركتهم والتغني ببطولاتهم[٣] .

وهذا يعني أن حركة العيارين والشطار وإن كانت مرفوضة من الناحية القانونية والسلطوية فإنها مقبولة من الناحية الاجتماعية ويَعدُّ أصحابها في نظر العامة أبطالاً[٤] .

---

(١) جيرارد - زالتغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية) دراسات إسلامية ص٢٣١.

(٢) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع٤٥ (١٩٨١) ص٩٣.

(٣)المصدر السابق ع٤٥ (١٩٨١) ص٩١، ١٤٣.

(٤) نفس المصدر السابق ع٤٥ (١٩٨١) ص٨٥.

ويرى أن هذه الحركات لا تزدهر إلا في فترات تاريخية تتزامن فيها مرحلة التصدع والتفكك وبدأت عصور التدهور والانحطاط بالظهور[1] .

وهذا يعني أنهم على كثرتهم كانوا لا يشكلون مصدر خطر يهدد سلطة الدولة أو مركز الخلافة، بل هو رد فعل طبيعي للتفاوت الطبقي والاقتصادي الذي ساد تلك الفترة. ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن كل الشطار والعيارين أبطال أو شرفاء، أو أن جميع حركاتهم كانت انتفاضات ثورية أو ذات غايات نبيلة، فأي ثورة أو انتفاضة شعبية إلا وقد أندس بها بعض المشبوهين[2] .

فيا له من همٌ وما هي أهدافهم، ففي المقام الأول كانوا أناساً متواضعين لا مهنة لهم حتى اختلط بهم أناس من ذوي المكانة والرفعة طمعاً في الطموح أو بحثاً عن اتباع ومن المؤكد أنه لم يكن لديهم برنامج معين عن النمط الحزبي الحديث، وإنما كان لديهم ميل شديد للنهب وربما كان دافعهم الوحيد، ومع ذلك كان لديهم طموح بالانخراط في سلك الشرطة أما طمعاً في الكسب أو تجنب الاصطدام بهم، ولهذا السبب كان العيارون في بعض الأحيان يعملون كمتطوعين متبرعين لمساعدة الحكومة المركزية.

أما بين الجماهير فقد اشتهر العيارون بأنهم اللصوص الذين يهاجمون الأغنياء كشكل من أشكال إعادة توزيع الثروة لا مبرر أخلاقي له[3] .

أما الدكتور عبدالعزيز الدوري فرأيه: أن حركة الشطار والعيارين تعرضت لسوء فهم واتهموا بأنهم أوباش، رعاع، عراه، باعه طرق، نهابه إلى آخر ذلك من التسميات.

وأنهم يمثلون حركة اجتماعية ثورية ناتجة عن ظروف العامة (أهل الصنائع والحرف) وسوء الوضع المعاشي والناتجة عن التباين الاقتصادي، فكانت حركتهم ثورة

---

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع٤٥ (١٩٨١) ص١٩ .

(٢)نفس المصدر ع٤٥ (١٩٨١) ص٢٠ ، ٩٢.

(٣) Taeschner, Fr.,Futuwwa, E.I,٢ Vol. II P.P ٩٦١-٩٦٩

على السلطان (هو أجنبي) وعلى أسياد المال وهجماتهم موجهة بالدرجة الأولى ضد الأثرياء والتجار وضد السلطة مستفيدين من التخلخل السياسي لممارسة فعالياتهم[1] .

أما الأستاذ "بدر محمد فهد" مؤلف كتاب العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري فإن رأيه بحركة الشطار والعيارين الآتي[2] :

ومن جملة ما نسب إليهم أيضاً أنهم في سنة ٥٣١هـ / ١١٣٦م وقفوا في الطريق فأخذوا ثياب الناس المارين، وأنه من الجائز أن هذه الاعتداءات التي أصابت الفقراء ومتوسطي الحال هو من قبل اللصوص الاعتياديين الذين استغلوا حركات العيارين فقاموا بأعمالهم هذه فنسبت إليهم.

كما أنه يشير في سياق عرضه وتحليله لحركة الشطار والعيارين بورود أخبار كثيرة عنهم وعن هجماتهم، لكن المؤرخين لم يشيروا إلى نوع الضحايا في تلك الهجمات وأن أعمالهم موجهة ضد أصحاب الأموال ورجال الدولة. أما الفقراء ومتوسطي الحال فلم يكونوا هم الهدف المباشر، ولربما لحقت بهم بعض الأضرار الغير مقصوده من طرف العيارين كما حدث في السنوات ٣٩٢هـ/ ١٠٠٥م، ٤٠١هـ/ ١٠١٠م، ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م، ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م.

ويشير بأن أغلب حوادث العيارين كانت تقع في الجانب الغربي من بغداد وهو المركز التجاري[3] .

ويتابع حديثة قائلاً: إن عدم إدراك المؤرخين القدماء لهذه الأسباب الخفية التي أدت إلى ظهور حركات العيارين والشطار جعلهم يسيئون فهم حركتهم لذلك وصفوهم بتهم مختلفة مثل أوباش، رعاع، طرارون، ذعار، لصوص، حرامية.

---

(١) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص٧٧، د.عبدالعزيز الدوري (نشوء الأصناف والحرف في الإسلام) مجلة كلية الآداب، ع١ (١٩٥٩)، ص٢٥ – ٢٦.

(٢) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٣٠٧ .

(٣ نفس المصدر ص٣٠٧ – ٣٠٨.

ويرى أن بعض المحدثين ساروا على نهج المؤرخين القدماء في فهمهم لحركة العيارين، ولكن من خلال الكلام عن تنظيماتهم ووصف أخلاقهم سيتضح كونهم ليسوا مجرد سراق أو فتاك، انما هم جماعة من عامة بغداد، أدت الأوضاع التي كانت سائدة في تلك الفترة إلى ظهور حركتهم والتي استمرت طيلة القرن الخامس الهجري[1] .

أما "كلودكاهن" فيرى إلى أن ما ذهب إليه ماسنيون عندما أعطى العيارة الفتوة مدلولاً أوسع مما أعطاها تيشنر وذلك حين رآها ردة فعل طبيعية لنفسية المعدمين تجاه المجتمع الذي لا يتبناهم بأن هذا الرأي يحتوي على نصيبه من الحقيقة ولكنه رأي بسيط وغير عادل، ويشير كاهن إلا أنه كان هناك أعضاء في العيارة من أصحاب المهن النظامية المتوسطة، كما أن الأعيان أخذوا بالاختلاط بهم والاستفادة منهم في لعبة العصبيات التي كانت تتم.

ويشير إلى أن ظهور العيارين بشكل ملفت للنظر يتم في المدن التي كانت تفتقر إلى وجود قوة مسلحة أو شرطة تؤمّن الحماية للسكان أو عند وجود قوة أجنبية غير مرغوب بها من قبل الشعب، فإن العيارين يجدوا أنفسهم العنصر الوحيد الفعّال الذي يمكن لهؤلاء الاعتماد عليه[2] .

أما المستشرق الفرنسي "ماريوس كنار" فرأيه الآتي: ماذا عسى أن نقول عن العيارين الذين أسرفنا في ذكرهم؟

أن تاريخهم لا يبدأ من هذه الحقبة، لقد رأيناهم في العصر الفائت وكانوا منظمين يساعدون السلطة أحياناً ويقارعونها أحياناً، فنجد أن ابن شيراز سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م استنجد بهم ليقرع رأس معز الدولة والديلم، ويشير إلى أنهم ليسوا شقاه ولصوصاً كما

---

(١)العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٢٨٩ – ٢٩٠.

(٢)كلودكاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى) مجلة الاجتهاد، ع٦ (١٩٩٠) ص١٦٧ وما بعدها.

وصفوا بذلك، بل كانوا منظمين تنظيماً شبه عسكري ومنصاعين للأوامر لأن زعمائهم أمثال ابن "حمدي والبرجمي" قد أقاما الدليل على تمسكهما بالروح العسكرية فآثارا مهاجمة الأغنياء ولم يتعرضا للنساء والفقراء، كما أنهما استطاعا في فترات أن يقفا سوراً بوجه الفوضى.

ويشير أيضاً إلى أنه ومهما تكن الأخطاء السياسية التي أسهمت في نشوء هذه الفرق من العيارة فينبغي أن نجزم بأن العيارين كانوا من الأسباب الرئيسية فيما أحاق ببغداد من تدهور في تلك الحقبة التي نحن بصددها [1].

ومن هنا نخلص أن حركة الشطار والعيارين هي حركة شعبية تضم في صفوفها أهل الأصناف والصنائع والحرف الصغيرة، وأن هذه الحركة موجهة بالدرجة الأولى ضد التجار الموسرين وأصحاب رؤوس الأموال والحكام.

وساعد على ظهور هذه الحركة فقدان الخلافة العباسية مكانتها السياسية منذ القرن العاشر واحتدام الخصومة بين المذاهب الدينية أضف إلى ذلك أن ظاهرة التمايز الطبقي والتباين الاقتصادي والتناقضات الاجتماعية المتعددة التي أفرزها النشاط الاقتصادي والصناعي في الدولة العباسية في عصرها الذهبي.

هذه الأمور مجتمعة أوجدت المناخ الملائم لازدهار حركة الشطار والعيارين.

وكان هدفهم تحقيق العدالة الاجتماعية والسياسية ولم يكن ضمن أهدافهم الثورة على نظام الخلافة باعتباره خليفة الله في أرضه.

كما أننا نجدهم أحياناً مرابطين يقومون بواجب الجهاد على حدود الخلافة الإسلامية ويتصدون للعناصر الأجنبية كالبويهيين والسلاجقة والأتراك.

---

(١) المستشرق الفرنسي ماريوس كنار (بغداد في القرن الرابع الهجري) مجلة المورد، مج٢، ع٢ (١٩٧٣) ص٢١ – ٢٢.

وبالرغم من افتقار حركتهم للتنظيم والتخطيط فإنهم لا يشكلون طبقة تاريخية كالزنج أو القرامطة.

موقف البويهيين من حركة العيارين

نخلص مما سبق أن العيارين أرهقوا بغداد بشطارتهم وفرضوا سيطرتهم عليها وظهر منهم زعماء "كالزيبق والبرجمي وأسود الزبد" مما اضطر الدولة إلى الحد من سطوتهم بقتل بعضهم وأحياناً مصانعتهم والاستعانة بهم في الغزوات الخارجية وفي إعادة الهدوء للعاصمة المضطربة بالفتن وقد شارك الجند الأتراك العيارين نشاطهم[1] .

ولقد كانت حركة العيارين من أسباب تماسك الأصناف دفاعاً عن مصالحها ضد الفوضى ودفاعاً عن أسواقها.

ولم تقتصر المؤثرات في الأصناف على حركة العيارين بل تأثروا بالتيارات العامة الأخرى بالإضافة إلى الاتجاهات المذهبية التي كانت سائدة في العصر البويهي وحصلت بينهم معارك بسبب هذه الاختلافات[2] .

وكان من البديهي أن تتأثر الفتوة بالحالة الاجتماعية في القرن الرابع الهجري، فقد تفاقمت في العراق وخصوصاً بغداد ذات العصبية المذهبية باحتلال بني بويه للعراق وهم من الفرس المتشيعين وكان من البديهي أن ينصروا المذهب الذي يعتنقونه وأهله يمثلون أقليه، فثارت النزاعات المسلحة بين الطوائف ذهب نتيجة ذلك النفوس والأموال، وساءت الأحوال وامتزجت الفتوة بالعيارة والشطارة[3] .

---

(١) العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي ص١٣٥ – ١٣٦.

(٢) المنتظم ج٨ ص٥٩، ٦٠، ٧٨، ٧٩، ٨٣، د. عبدالعزيز الدوري (نشوء الأصناف والحرف في الإسلام) مجلة كلية الآداب، ع١ (١٩٥٩) ص٣٣.

(٣) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية ص٢٦.

وفي سنة (٣٣٢هـ / ٩٤٦م) وهي بداية قيام دولة بني بويه اتحد العرب والأتراك وساندهم العيارون ضد أمير العراق الديلمي البويهي أصحاب السيادة في تلك الفترة[1].

وفي سنة (٣٣٤هـ / ٩٤٥م) من خلافة المستكفي بالله أبي القاسم عبدالله كان نهاية فترة نفوذ الأتراك وجاء عصر جديد هو عصر نفوذ بني بويه الفرس الديالمة، وفي هذه الفترة ازدهرت حركة العيارين ازدهاراً كبيراً وذلك نتيجة ميل البويهيين إلى التشيع بحكم كونهم شيعة وانعطاف العيارين إلى التصوف بحكم أخذهم بمبدأ الفتوة الصوفية، فالتشيع والتصوف صنوان متشابهان، فاختلطا وتشابها وخاصة في باب الولاية.

وبذلك يكون العصر البويهي بالعراق هو بحق العصر الذهبي لحركة العيارين والشطار كونهم عماد حركتهم[2].

إلا أنه في سنة ٣٦١هـ / ٣٦٢هـ حصلت أحداث مأسوية، فقد أدت انتصارات البيزنطيين إلى الدعوة إلى الجهاد المقدس والإقلاع عن الخلافات الداخلية بين الفرق ووزعت الأسلحة على المتطوعين وبعد أن تم تسليم الأسلحة للعيارين حدث عكس ما كان متوقعاً حيث بدأ القتال بين السنة والشيعة وتناسوا الحرب المقدمة ضد البيزنطيين، فأخذ العيارون بقطع الطرقات والسرقة ومصادرة الدكاكين مما دفع بختيار[*] البويهي

---

(١) العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص١١١ – ١١٢.

(٢) الكامل في التاريخ ج٨ ص٤٥٢ – ٤٥٤، العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص١٠٩ – ١١٠.

(*) بختيار أبو منصور، عز الدولة ابن معز الدولة أحمد بن بويه أحد سلاطين العراق من بني بويه، ديلميّ الأصل مولده بالاهواز شديد البأس. الإعلام ج٢ ص٤٤.

بأضرام النار في حي باب البصرة جنوبي بغداد وهو أهم مراكز الغليان واعدم رؤسائهم[1] .

وفي أواخر سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م اشتد خطر العيارين نتيجة فساد الإدارة والناتج من ظلم الرعية من قبل "بن بقية"[*] واندلعت الفتنة مجدداً بين السنة والشيعة فنشطت أعمال العيارين[2] .

وفي عهد عضد الدولة نعمت بغداد بالهدوء إلا أن"ضبه بن محمد الأسدي" صاحب عين التمر والذي كان يسلك مسلك اللصوص وقطاع الطرق عكر صفو هذا الهدوء بنهبه مشهد الحسين فأثار بذلك مشاعر الشيعة وعقاباً له أرسل إليه عضد الدولة قوة أجبرته على الهرب نجاة بنفسه وصودرت أمواله[3] .

وفي سنة ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م من أمرة شرف الدولة تواترت سيطرة العيارين واستطاعوا جباية الناس كما قتلوا بعض الأشخاص.

وعندما سار أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة سنة (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) إلى إقليم خوزستان حصلت انتفاضة بين السنة والشيحة وانتهز العيارون هذه المناسبة فهاجوا وانتشرت عناصرهم ونجم عن ذلك حرق ونهب وسلب وتخريب[4] .

وفي سنة (٣٨٤هـ/ ١٠٩٤م) حصل خلاف بين السنة والشيعة في منطقة الكرخ أدى ذلك إلى احتراق كثير من المحال واستغل العيارون هذه الخلافات واشتد عبثهم[5] .

---

(١) كلود كاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى)، مجلة الاجتهاد ع٦، (١٩٩٠) ص١٥١.

(*) ابن بقية: محمد بن محمد بن بقية بن علي نصير الدولة أبو طاهر، وزير، خدم معز الدولة بن بويه، ثم صار وزيراً عند عز الدولة (بختيار) توفي في سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٨م، الإعلام ج٧، ص٢٠.

(٢) العيارون والشطار البغادده ص١١٥ – ١١٦.

(٣) العيارون والشطار البغادده ص١٢٠.

(٤) نفس المصدر،ص١٢٠.

(٥) نفس المصدر،ص١٢١.

في نهاية سنة (٤٠٨هـ / ١٠١٨م) من حكم سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة تفجر الصراع بين السنة والشيعة وخلال هذا الخلاف نشطت حركة العيارين فقطعوا الطرق ونهبوا الأموال[1] .

وفي عهد جلال الدولة أبي طاهر المعتز بن بهاء الدولة (٤١٦ – ٤٣٥هـ/ ١٠٢٥ – ١٠٤٤م) قوىَ شأن العيارين.

ثم توالت هجمات العيارين، ففي سنة (٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) قاموا بنهب بعض المحال التجارية من الجانب الشرقي، كما تحرك زعيمهم البرجمي لأعمال السلب والنهب.

وفي سنة (٤٢٥هـ / ١٠٣٣م) اعترفت الحكومة بقوة العيارين ورضخت لهم وتنازلت لهم عن جباية ما كان أصحاب المسالح يجبونه من الأسواق ودور القيان[2] .

سنة (٤٢٦هـ / ١٠٣٤م) بدأ أمر البويهيين بالضعف وعظم امر العيارين فأخذوا بمصادرة الأموال ليلاً ونهاراً، ووجدوا تغطية من قبل الجند الأتراك الثائرين على السلطان ونوابه، كما أن هؤلاء الجند كان يقاسمون ما يحصل عليه العيارون لقاء سكوتهم عن أعمال السلب والنهب[3] .

سنة (٤٤٣هـ / ١٠٥١م) من حكم الملك الرحيم أبي نصر خسرو فيروز آخر أمراء البويهيين بالعراق عادت الفتنة بين السنة والشيعة واحتدم القتال بين الطرفين وعجز الخليفة القائم والملك الرحيم وصاحب الشرطة عن إيقاف أعمال القتل والنهب

---

(١) نفس المصدر السابق ص١٢٤–ص١٢٥.

(٢) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٢٩٦.

(٣) العيارون والشطار البغاده في التاريخ العباسي ص١٣٣.

والحرق واستمرت الفتنة إلى سنة (٤٤٤هـ / ١٠٥٣م) وانتشر العيارون وتسلطوا على الناس وجبوا الأسواق واستمرت هذه الأعمال إلى سنة (٤٤٥هـ / ١٠٥٣م)[1] .

وكانت الحقبة الممتدة من سنة (٤١٥هـ - ٤٢٧هـ) حيث السلطة البويهية في حالة تفكك اكتسب فيها العيارون أعظم قوة[2] .

ومن الملفت للنظر هنا أن فرار بعض العيارين بصحبة افتكين القائد التركي إلى الشام يتوافق مع بدء التاريخ لنظرائهم الأحداث هناك وفي أرض الجزيرة هذا التاريخ يبدأ في القرن الرابع الهجري. ولنخرج بنتيجة وهي أن عياري افتكين هم الذين أدوا إلى نهوض حركة الأحداث بالشام وبالذات في منطقة حلب ودمشق[3] .

ونظراً إلى استقرار الحكم البويهي لفترة من الوقت أدت إلى سيطرة الحكومة المركزية في بغداد على مقاليد الأمور وطيلة ربع قرن من الزمان لم نسمع عن العيارين أية أخبار إلا قليلاً وخاصة في السنوات الأخيرة من حكم البويهيين[4] .

موقف السلاجقة من حركة العيارين

في سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م أنتهى عصر نفوذ البويهين وأقبل عصر نفوذ السلاجقة الذي لا يختلف عن سابقه من حيث بقاء الخليفة كرمز روحي بينما تركزت السلطة الفعلية في أيدي الأتراك السلاجقة المستبدين الجدد بالخلافة وهم من السنة الأحناف وبوفودهم إلى العراق رجحت كفة السنة على الشيعة على عكس الفترة السابقة لمجيئهم، فخضع الشيعة لحكمهم وذلوا ولم يعد بوسعهم إثارة خصومهم كما كان يحدث أيام البويهيين أخوتهم في المذهب ثم زال عهد الفتن المذهبية التي كانت تربة خصبة صالحة

---

(١) نفس المصدر السابق ص١٣٤ - ١٣٥.

(٢) كلود كاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى)، مجلة الاجتهاد ع٦ (١٩٩٠) ص١٥٢.

(٣) العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص١١٩.

(٤) كلود كاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى)، مجلة الاجتهاد، ع٦ (١٩٩٠) ص١٥١- ١٥٥.

لنمو حركة العيارين والشطار. وكان ذلك مؤثراً لركود حركتهم ومما ساعد على ذلك شدة قبضة الدولة السلجوقية[1] .

وعلى ذلك مرت السنتان الأوليان من حكم السلاجقة بالعراق دون أن يسمع خُبر واحد عن حركة العيارين حتى دخلت سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٧٥م من حكم أول سلاطين السلاجقة بالعراق وهو أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق المعروف بطغرلبك، بدأ الحديث عنهم يعود بشكل قوي مؤثر ثم بعد ذلك بشكل باهت متقطع[2].

ويجمل القول أن العيارين في عصر نفوذ السلاجقة وأصلوا سياستهم في نهب الأغنياء وقد حاربتهم الدولة أكثر من مرة دون أن تنال منهم أو أن تستطيع القضاء عليهم، وقد أخذ رجال الشحنكيه[*] يسرقون بأسم العيارين.

وتشير المصادر إلى أن نفراً من كبار رجال الدولة وأعيانها كانوا على صلة بالعيارين ويأخذون تصيبهم مما ينهب.

إلا أن الدولة وفي فترة السلطان مسعود استطاعت قطع دابرهم مما دفع بعضهم إلى إعلان التوبة.

عندما فكرت الخلافة الاستقلال عن سلطان السلاجقة لجأت إلى العيارين فوقفوا إلى جانبها وحاربوا معها. وعندما نجحت الخلافة بالاستقلال اتخذتهم مخلب قط في التمثيل بالمغضوب عليهم[3] .

بعد مضي أربعة عقود ونصف أخذت أخبار العيارين بالظهور وخاصة في فترة خلافة المستظهر بالله ابي العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله (٤٨٧ – ٥١٢هـ / ١٠٩٤ – ١١١٨م) وسلطنة ركن الدولة بركيارق زاد أمر العيارين في بغداد الغربية[4] .

---

(١) العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص١٣٦.

(٢) نفس المصدر ص١٣٧.

(*) الشحنه: منصب يقابل الحاكم العسكري في الوقت الحاضر.

(٣) العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص١٥٥ – ١٥٦.

(٤) نفس المصدر،ص١٣٨.

وفي سنة (٤٩٨هـ / ١٢٠٤م) توفى السلطان بركيارق وبوفاته انتهى عصر وحده السلاجقة وبدأ عصر الانقسام وفي هذه الفترة بدأت أخبار العيارين بالظهور مجدداً وأن كانت قليلة إلا أنها اتصفت بالقوة[1] .

أدى تفكك الدولة السلجوقية بعد موت ملكشاة إلى عودة العيارين إلى الظهور وعزيت إليهم اضطرابات بغداد الغربية في السنوات ٤٩٠هـ ٤٩٣هـ ٤٩٧هـ، ٥١٢هـ ٥١٤هـ ٥١٥هـ.

إلا أن خطرهم ازداد ابتداء من سنة ٥٣٠هـ واستطاع السلطان مسعود دخول بغداد واخذها بالقوة بعد حصار قاس نهب خلاله العيارون أسواق بغداد وقامرا بالسطو على السفن وبعض المنازل[2] .

في سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م فترة خلافة المسترشد بالله وسلطنة مغيث الدين محمود الثاني وهو أول سلاطين سلاجقة العراق كثر العيارون ببغداد الغربية فأرسل لهم مجموعة من قواته إلا أن قوات العيارين استطاعت هزمهم[3] .

وفي سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م من خلاقة الراشد بالله أبي جعفر منصور بن المسترشد وسلطنة مسعود شقيق السلطان محمود الثاني حصلت تطورات داخلية بين الخليفة والسلطان، مما دفع بالعيارين إلى استغلال الخلافات فثاروا واعملوا النهب في بغداد وفتكوا بكل من تصدى لهم[4] .

---

(١) نفس المصدر السابق ص١٤٠.

(٢) كلود كاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى) مجلة الاجتهاد، ع٦ (١٩٩٠) ص١٥٦ – ١٥٧.

(٣) العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص١٤٠.

(٤) نفس المصدر ص١٤١ – ١٤٢.

في سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م جدد العيارون نشاطهم في نهب أموال الوجهاء والأثرياء، وكان زعيمهم في تلك الفترة "ابن بكران العيار" فلم ترهبهم سطوة أعمال البقش* وكثر اتباع ابن بكران(١) .

إلا أنه وفي سنة (٥٣٦هـ / ١١٤١م) بلغ الأمر أن كل جماعة من العيارين احتمت بأمير من أمراء الدولة السلجوقية أو بابن وزير، فقد كان ابن الوزير وشقيق امرأة السلطان يقاسمان العيارين(٢) .

وظهر تنظيم العيارين الحربي مرة أخرى في حصار بغداد الثالث سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م فقد لعبوا دوراً مهماً في الدفاع عن بغداد تحت زعامة "أبي الحسين العيار" الذي أظهر شجاعة نادرة في مهاجمة الجيش السلجوقي ونهبه وإشاعة الخوف والاضطراب بين صفوفه(٣) .

وفي سنة ٥٦٣هـ / ١١٦٧م أستفحل شر الفتيان العيارين واجتمعت كل جماعة منهم بأمير من أمراء الدولة السلجوقية فأخذوا أموال الناس وكانوا يكبسون الدور ليلاً وبأيديهم الشموع ويدخلون الحمامات ويأخذون ثياب المستحمين إضافة إلى أعمال القتل حتى صار الناس لا يخرجون من دورهم بعد المغرب، ولجأ العيارون لعمل جواسيس لهم لمعرفة الاشخاص أصحاب الاموال، مما دفع الناس إلى إغلاق دكاكينهم وخاناتهم في المدينة(٤) .

(*) البقش: أحد ولاة السلطان مسعود على بغداد.

(١) العيارون والشطار البغادده في التاريخ العباسي ص١٤٤ – ١٤٥.

(٢) الكامل في التاريخ ج٩ ص٥، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٢٩٩.

(٣) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٢٩٨.

(٤) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية ص٢٧.

أما ما قيل بأن العيارين لاقوا مقاومة في العصر السلجوقي أدت بهم إلى اللجوء إلى الاجتماعات السرية والاتصال مع الفاطمين فهذا مما لا تؤيده الوقائع التاريخية، حيث أن حركات العيارين كانت سنوية وهذا يدل على ضعف الجهاز الحكومي[1] .

بعد ذلك اختفت أخبار العيارين بقية عصر سلاجقة العراق وهذا لا يعني أنهم زالوا أو بادوا، ولكنهم ضعفوا كفريق معارض للسلطة وأصبحت أخبارهم مهملة فتلاشت مع الأيام[2] .

حركة الأحداث في الشام

الحدث: شاب حدث فتي السن، ورجل حَدَثُ السن وحديثها: بيّن الحداثة والحُدوثة.

ويقال هؤلاء قومُ حُدثانٌ، جمع حَدَثٍ وهو الفَتيُّ السّنّ، ورجل حَدُثُ أي شابٌ حديث السن وهؤلاء غُلمانٌ أي أحداث[3] .

فأول ظهور لهم كان في القرن الخامس الهجري، حيث ظهرت طائفة من الفتوة ببلاد الشام يعرفون باسم الأحداث وأشهرهم أحداث مدينة حلب وقد ساعد الأحداث الحلبيون الأمير أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابي على احتلال حلب سنة ٤١٥هـ وانتزاعها من سلطان الدولة الفاطمية وخليفتها يومئذ الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله، وقد جعل الأمير صالح أبا المرجي سالم بن مستفاد الحمداني غلام سيف الدولة بن حمدون مقدم سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م.

إلا أن الفاطميين استطاعوا انتزاع حلب من بني مرداس.

---

(١) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص٣٠١، مقدمة كتاب الفتوة / مصطفى جواد ص٣٨.

(٢) العيارون والشطار البغاده في التاريخ العباسي ص١٤٧.

(٣) لسان العرب، مادة حدث.

وفي سنة ٤٣٤هـ استدعى الحلبيون وفيهم الأحداث (الفتيان) معز الدولة أبا علوان ثمال بن صالح وابن عمه مقلد بن كامل بن مرداس فوصل ثمال ودخل حلب واجتمع إليه الأحداث.

وهكذا ظل أحداث حلب ينصرون أميراً ويخذلون آخر[1] .

وقد التحق بفرق الأحداث وحارب معها الرعية أي جموع العامة في المدينة، كما تطوعت معهم اعداد من الجنود وكذلك جموع أهل القرى المحيطة بمدينة حلب وذلك نتيجة تعديات الجند الفاطمي، فوجدوا في القتال ما يملأ فراغهم واستطاعوا منع الجنود الفاطميين من دخول المدينة. فبقوا خارج أسوارها.

أما تسليح هؤلاء الأحداث فكان يأتي نتيجة الضرائب التي تفرض والتبرعات الطوعية أو الإجبارية وكانوا يمتلكون الأسلحة وعدة الحرب[2] .

ولعل السبب المباشر في ظهور هذه الفرقة على وجه الأحداث في الشام هو ذلك الفراغ السياسي الذي ظهر مع انهيار السلطة الاخشيدية في مصر ثم احتلال الفاطميين لها ومحاولاتهم احتلال الشام.

بينما تحرك في الوقت نفسه قرامطة البحرين بالاتفاق مع بني بويه للدفاع عن دمشق والحيلولة دون احتلالها من قبل الفاطميين، كما تحرك في الوقت نفسه الروم للاستفادة من حالة الفوضى التي صارت المنطقة مسرحاً لها في تلك الفترة[3].

---

(١) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية ص٢٦، مصطفى جواد "الفتوة وأطوارها" مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥ (١٩٥٨)، ص٥٧.

(٢) د. شاكر مصطفى (الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في العهد الفاطمي)، مجلة كلية الآداب والتربية، ع٣ + ٤ (١٩٧٣)، ص١٩٢.

(٣) د. شاكر مصطفى (الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في العهد الفاطمي)، مجلة كلية الآداب والتربية، ع٣ + ٤ (١٩٧٣)، ص ١٨٢-١٨٣.

أن منظمة الأحداث كانت تمثل أبان القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين قوة تحسب لها الدولة الحساب، فقد كان رئيسها في الواقع سيد المدينة، وكان له النفوذ التام في فترات الفوضى والفتن بحيث أنه لا يمكن فرض سلطة الدولة دون التعاون مع زعيم الأحداث[1].

إن الوظائف التي مارسها الأحداث في المدينة هي وظائف الشرطة، فإن الفرق الجوهري بين الأحداث والشرطة الكلاسيكية لا يكمن في الصلاحيات بل في التجنيد، فالأحداث هم رجال من المدينة تربطهم صلة وثيقة بالسكان[2] .

إن النجاح المؤقت لثورات الأحداث أتاح لها إقامة نوع من السلطة الحكومية في دمشق وبعض مدن الشام، وكان لها من القوة والنفوذ الواقعي ما مكنها من تحصيل الضرائب من الأسواق وفرض الاتاوات وأعمال الكبس والنهب التي مارسوها [3].

وبالرغم أن حركة الأحداث أصبح لها مكانة عزيزة لدى جماهير العامة إلا أنها مثار رعب وبغض من قبل طبقة الأعيان، واستطاعت حركة الأحداث استقطاب جماهير الشعب إلى جانبها، أما الأعيان والطبقة العليا فكانوا يحاولوا المصالحة والتهدئة خوفاً على أملاكهم ومصالحهم[4] .

توجد علاقة بين العيارين والأحداث فكلاهما يسعى لحماية الطبقة الكادحة (العامة) من استغلال الطبقة التجارية والأثرياء والدليل على ذلك عصيان أهل حران سنة ٣٣٢هـ على أمير المدينة هبة الله بن ناصر الحمداني وقاموا بطرد نوابه عن المدينة

---

(١) جيرارد زالتغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية)، دراسات إسلامية، ص٢٣٧ (الهامش رقم ٤٨).

(٢) كلود كاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى)، مجلة الاجتهاد، ع٦ (١٩٩٠) ص١٢٩.

(٣) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع٤٥ (١٩٨١) ص١٧٠.

(٤) د. شاكر مصطفى (الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في العهد الفاطمي)، مجلة كلية الآداب والتربية، ع٣+٤(١٩٧٣) ص١٩٣.

لأنهم عسفوا وظلموا وبالغوا في تماديهم ضد العامة إلى أن قام هبة الله بمراسلة الأحداث واستجاب لمطالبهم وفتحتْ المدينة له[1] .

أن تاريخ الأحداث في حلب شبيه بحركة الأحداث في دمشق وكانت بداية ظهورهم في منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، كما أن موقفهم من الفاطميين هو نفس موقف أحداث دمشق، ففي سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م نجدهم يساندون المرداسين باستلام أمور مدينة حلب، وبعد ذلك استطاع الفاطميون احتلال المدينة وإخراج المرداسين منها،إلا أن ثورة الأحداث في سنة ٤٣٤هـ أعادت حكم المدينة لآل مرداس[2].

نشطت حركة الأحداث في دمشق وحلب بصورة خاصة وأن عمت هذه الحركة المدن الأخرى وكونها شبيهه بالميليشيا الشعبية واتخذت موقفاً عدائياً وسلبياً من السلطة الخارجية، ونجحوا أحياناً في فرض سيطرتهم وتولية رئيس منهم على المدينة، كما حصل في دمشق حين تولاها آل الصوفي بين سنتي (٤٨٨- ٥٤٨هـ)، وفي حلب «آل بديع» وفي آمد (الأسرة النيسانية) في مطلع القرن السادس وكانوا أحياناً يسندون أميراً ثائراً كما في صور سنة (٣٨١- ٣٨٨هـ) أو يسندون الأمير المحلي كما فعلوا مع المرداسيين في حلب ضد الفاطميين[3] .

إلا أن حلب ودمشق لم تكن المدينتين الوحيدتين في منطقة الشام والجزيرة اللتان شهدتا وجود حركة الأحداث.

فكان لهم تواجد في مدينة صور منذ أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي حيث استطاع «علاقة» أحد الخوارج وبالاعتماد على الأحداث بالاستيلاء على مقاليد الأمور في تلك المدينة من (٣٨١ – ٣٨٨هـ) وأن يصك العملة بإسمه.

---

(١) د. شاكر مصطفى (الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في العهد الفاطمي)، مجلة كلية الآداب والتربية، ع٣+٤ (١٩٧٣) ص١٨٢.

(٢) كلودكاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى) مجلة الاجتهاد، ع٦ (١٩٩٠) ص١٢٢ – ١٢٣.

(٣) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص٧٩.

وبعد ذلك بمائة عام تقريباً كان لهم ذكر في منطقة بعلبك وعسقلان.

أما في الموصل فتشير المصادر التاريخية إلى وجود الأحداث في بداية القرن الثاني عشر الميلادي[1].

إن المتتبع لحركة الشطار والعيارين التي ظهرت في بغداد والأحداث في الشام منذ أواسط القرن الرابع الهجري حتى السادس الهجري يجد ترابطاً وتداخلاً بين هاتين الحركتين فهما تشكلان مليشيا شعبية انخرط بها الحرفيون والعامة، وكانت الدولة تحسب لهذه التنظيمات الحساب، ولهم – رؤساء يدعى أحدهم رئيس ونقيب ومقدم، وحين سيطرتهم على مدينة ما يتوزعون السلطة ويفرضون الضرائب، ويعبروا عن نظرة أهل المدينة تجاه السلطة الخارجية[2].

وعندما بلغت حركة العيارين والشطار أوجها في العراق ضد حكم البويهيين كانت حركة الفتيان «الأحداث» بلغت أوجها ضد حكم الفاطميين، فتزامن حركات العامة بقيادة الفتيان العيارين والشطار والأحداث واقتسامهما سلطة بغداد ودمشق ضد الخلافتين العباسية والفاطمية بالتأكيد أمرٌ ذو معنى، فهو يضفي الطابع السياسي على حركة الأحداث بالشام والطابع الاجتماعي والاقتصادي على حركة العيارين والشطار[3].

وبالرغم من مقاومة منظمة الأحداث للحكم الفاطمي مقاومة مستميته لأسباب سياسية ومذهبيه واقتصادية واجتماعية، وقد عاشت بذلك أخصب مراحل تطورها وبطولاتها الشعبية، ولكن وخلال الفترة الفاطمية نجدها سرعان ما تفقد هذا الدور

---

(١) كلود كاهن (الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى)، مجلة الاجتهاد، ع٦ (١٩٩٠) ص١٢٧.

(٢) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص٧٩ – ٨٠، الدكتور أحمد مختار العبادي (الطوائف الصناعية أو الأصناف)، مجلة عالم الفكر مج١١، ع١ (١٩٨٠/ ١٩٨١) ص١٣٩.

(٣) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع٤٥ (١٩٨١) ص١٧٤ – ١٧٥.

وذلك على أثر المذبحة التي حصلت لعدد كبير من زعمائها ورؤسائها، وبمجيء الدولة الأيوبية ودخول الفرنجة وغياب العباسين اختفت منظمة الأحداث[1] .

وإذا كانت الفتوة عمت القسم الشرقي من البلاد الإسلامية، فإن حركة موازية للفتوة ومتداخلة معها ظهرت في الشام والجزيرة الفراتية منذ أواسط القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي هي حركة الأحداث واستمرت في فعالياتها إلى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[2] .

الحرافيش والزعار

احرنفش الديكُ: تهيأ للقتال وأقام ريشَ عُنقهُ، وكذلك الرجل إذا تهيأ للقتال والغضب والشرّ.

واحرنفشت العَنزُ لأختها [3] .

إن الحرافيش مقلوب كلمة حرشوف بمعنى الجراد المهزول كثير الأكل كثير العدد الذي يدمر الأخضر واليابس على ضَالّة حجمه[4] .

والحرفوش: ذميم الخَلْقَ والخُلُق وهو المقاتل المصارع اللص.

وقد ظهرت في مصر في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي منظمة كبيرة تدعى الشباب الشجعان أي الأبطال الصغار الذين خلطوا حياتهم الاجتماعية بالمقاومة العنيفة للنشاطات الأرستقراطية، وبالرغم من إدانتهم أمام الخليفة الفاطمي المعتز الذي أستأصل شأفتهم، وقد ظهرت في القاهرة مجموعات شعبية أطلقت على نفسها اسم الحرافيش[5] .

---

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع٤٥ (١٩٨١) ص١٦٢ – ١٦٣.

(٢) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص٧٩.

(٣) لسان العرب، مادة حرش.

(٤) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع٤٥ (١٩٨١) ص٢٤٤ الهامش ١٦٩.

(٥) Taeschner, Fr, (Futuwwa), E.I,٢ Vol, II, Pp. ٩٦١ - ٩٦٩

وقد عرفت مصر في العهد الفاطمي فكرة الأحداث في أواخر القرن الرابع الهجري وقد وصلت إليها عن طريق الشام[1] .

فتحدثنا كتب التاريخ عن منظمات شعبية مسلحة من الرجاله أطلق عليها اسم الحرافيش وقد وصفهم. البعض بما وصف به العيارون في بغداد بأنهم كانوا من الرعاع وزعر العامة، غير أن "ابن منظور" في معجمه لسان العرب يعطينا تفسيراً واضحاً لهذه التسمية عند قوله: (واحرنفشت الرجال إذا صارع بعضهم بعضاً، واحرنفش الديك أي تهيأ للقتال).

وهذا التفسير أيدته المصادر التاريخية عند الكلام عن الحرافيش في جيش صلاح الدين فوصفتهم بأنهم فرقة من المتطوعة لها قيادتها الخاصة تتقدم الجيش النظامي في الهجوم.

كذلك يروي لنا المؤرخون أمثلة من المقاومة الشعبية لهؤلاء الحرافيش المصريين أبان حملة لويس التاسع على دمياط سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م[2] .

وقد ازدهر نشاط الحرافيش والزعار والعياق بمصر منذ أواخر العصر الأيوبي وأبان العصرين المملوكي والعثماني، فتحدثنا المصادر التاريخية عن جماعات شعبية مسلحة من الرجاله أطلق عليها اسم الحرافيش والزعار وقد وصفوا بما وصف به العيارون والشطار والفتيان بأنهم من الرعاع أو الدهماء أو العوام أو الحثالة أو أراذل السوقة وأنهم ليسوا

---

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع٤٥ (١٩٨١) ص١٧٨.

(٢) د. أحمد مختار العبادي (الطوائف الصناعية او الأصناف)، مجلة عالم الفكر مج١١، ع١، (١٩٨٠/ ١٩٨١) ص١٤١.

إلا متلصصة ونهابه وحراميه ومناسر وعيّاقاً وسرّاقاً ومن طلبةِ الشر وأهل الفساد إلى غير ذلك من الأسماء والصفات والنعوت[1] .

ولما كانوا بمثابة قوات خاصة متقدمة فقد كانوا مقربين من بعض الأيوبيين ولاسيما في أيام الصراع الداخلي بينهم، ويبدو أن هؤلاء الحرافيش كانوا قد فقدوا دورهم القتالي بعد زوال الدولة الأيوبية وانضموا إلى جموع العاطلين والعوام الذين كانت القاهرة تكتظ بهم مع بداية العصر المملوكي وانضم أغلبهم إلى الخوانق والربط والزوايا الصوفية[2] .

وقد وصفهم ابن بطوطه بأنهم طائفة كبيرة أهل صلابة وجاه ودعارة وذكر لهم حكاية شاهدها حين خرجوا على الملك الناصر لدين الله وثاروا عليه فما كان منه إلا أن استجاب لمطالبهم وذلك حين سجن الأمير طشتمر المعروف بحمص أخضر، فاجتمع آلاف الحرافيش ووقفوا أسفل القلعة ونادوا بلسان واحد عليه: يا اعرج النحس أخرج فأخرجه[3] .

إن السلطان قانصوه الغوري حين خرج لمواجهة الزحف العثماني في الشام سافر معه شيخ مشايخ الحرافيش ومعه جنده وصنجقه وطبله[4] .

ففي ثورة العامة سنة ٧٤٢هـ التي تحولت إلى نهب وسلب لبيوت أمراء المماليك وحدهم.

وفي فتنة أخرى يحاول بعض الأمراء المماليك «ايدغمش» أن يستقطب هؤلاء الحرافيش إلى جانبه في صراعه مع قوصون، وكان قد أباح لهم بيوته وبيوت أمرائه المماليك كوسيلة لاستمالتهم إلى جانبه[5] .

---

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع٤٥ (١٩٨١)، ص١٧٩.

(٢) نفس المصدر ص١٨٢.

(٣) نفس المصدر ص١٨٠.

(٤) نفس المصدر ص١٨٠، وانظر التبر المسبوك / ص١٤٦.

(٥) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع٤٥ ص١٨٥.

وقد استغلت فئات الحرافيش تشجيع المماليك للتيار الصوفي الداعي إلى الزهد فانخرطوا في هذا التيار طمعاً في رزق ثابت مما كان يوقف على التكايا والربط والخانقات.

أما أبان الفتن الداخلية التي كانت تحصل فلا يتورعوا عن التلصص والنهب وبذلك تم تصنيفهم ضمن الطوائف المتمردة التي توسلت بالنهب للتعبير عن رفضهم للواقع الاجتماعي والاقتصادي السائد في تلك الفترة[1] .

ومع ذلك ظلت الدولة المملوكية في بدايتها تقيم لتلك الفئة وزناً، وتحرص على اتقاء شرهم كما أن سلاطين وأمراء المماليك كانوا في فترات محدودة وخاصة في ظروف السلم يجمعون هؤلاء الحرافيش ويتولون الإنفاق عليهم[2] .

الزعـــار

الزعارَ: جمع زعر، فهم أهل الشراسة وسوء الخلق والزَّعَرُ في شعر الرأس وفي ريش الطائر قِلّة ورقةٌ وتفرق ويقال زعر ريشة أو شعرة قل وتفرق فانكشف الجلد وبان وزعر الرجل قل خيره.

ومنه قيل للأحداث: زعران، وزعر والشعر والريش، والوَبَرُ زعراً والجمع زُعَرٌ.

ويقال لهم أيضاً الشلاق، وواحدهم شلق وهو السيء الخلق الذي يدخل الخوف في قلوب الناس[3] .

فالزعار طائفة من طوائف العوام وتلعب دوراً مماثلاً لدور العيارين في العراق والأحداث في الشام وأن ظهورهم مرتبط بظهور الأزمات والفتن[4] .

---

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع٤٥ ص١٨٨.

(٢) نفس المصدر ص١٨٣.

(٣) لسان العرب، مادة زعر.

(٤) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين)، ع٤٥ (١٩٨١)، ص١٨٩.

وكانوا يقومون بأعمال مشابهة لأعمال العيارين والشطار ببغداد، وتذكر المصادر التاريخية أنهم في سنة ٧٩٢هـ عندما قامت الحرب بين السلطان الملك المنصور والملك الظاهر برقوق في الشام استغل الزعار الفتنة القائمة بين المماليك بمصر فنهبوا بيوتهم.

كما قام الزعار بكسر أبواب، السجون وإطلاق مَن بها. وفي حوادث سنة ٨٠٢هـ قاموا بنهب بيوت الأمراء وكانت أعمال الزعار موجهة إلى أرباب الحكم والإقطاع ومحتكري التجارة وذوي الثراء الفاحش[1] .

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين)، ع٤٥ (١٩٨١)، ص١٩٤ - ١٩٥.

الفصل الرابع

الوجه السياسي للفتوة

أ- أحوال الفتوة قبل الناصر لدين الله.

ب- تطور مفهوم الفتوة زمن الناصر.

ج- أهداف الناصر من تبنيه للفتوة.

د- حذف الفتوة غير الرسمية وتأسيس الفتوة الناصرية.

هـ- نشر الفتوة بين ملوك الأطراف.

و- مصير الفتوة بعد وفاة الناصر لدين الله ومحاولة خلفاء الدولة العباسية من بعده الإبقاء على نظام الفتوة.

الفتوة قبل مجيء الخليفة الناصر لدين الله

تحدثت في الفصل الثالث من هذا البحث عن حركة الشطار والعيارين، وكيف كان ظهورهم في بغداد، ثم ظهور حركات مشابهة كحركتهم كالأحداث في الشام والحرافيش والزعار في مصر.

إن ظهور حركة الشطار والعيارين في بغداد كان نتيجة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي سادت الخلافة العباسية وخاصة في فترة تسلط العناصر الفارسية أو التركية على مقاليد الأمور وأصبح الخلفاء ألعوبة بأيديهم، فساءت الأحوال بشكل عام وارتفعت الأسعار وتدنت الأجور وتقلصت وارادت الدولة وأصبحت عاجزةعن دفع مرتبات الجند، واضطربت الأوضاع الأمنية مما أدى إلى وجود تذمر بين العامة ببغداد هذا التذمر والتمرد على الأوضاع السائدة دفعهم للمساهمة في الحركات الاجتماعية كحركة الشطار والعيارين.

وقد لعبت هذه الحركة دوراً رئيسياً في الثورات التي كانت تحصل في بغداد بتلك الفترة.

وفي فترة خلافة المقتفي لأمر الله نجده ينتهز الفرصة بعد وفاة السلطان مسعود سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م للتقرب من الفتيان ويدعوهم للانضمام إليه حيث كان يدرك قوتهم وتأييد العامة لهم وخضوعها لأوامر الفتيان.

فنجد كثيراً منهم في الجيش العباسي الذي اعتمد عليه في محاربة السلاجقة واستطاع أن يطردهم[(١)].

وفي سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م استفحل شر الفتيان العيارين واحتمت كل جماعة بأمير من امراء الدولة السلجوقية، فأخذت اعمال النهب والقتل والسطو تنتشر في بغداد[(٢)].

---

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين) ع ٤٥ (١٩٨١) ص١٥٤.

(٢) مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٥ (١٩٥٨) ص٦٢.

وعندما جاء الخليفة الناصر لدين الله رأى انحراف الفتوة ، وفساد تصرف اعضائها وتفاقم الخلاف بين طوائفها المختلفة. فأخذ على جمع ما كان مشتتاً من عاداتها واحياء ما اندثر من انظمتها[1].

فعمل الخليفة في سنة ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م على استقطاب فرق العيارين والعمل على اعادة تنظيمها تحت قيادته في نظام جديد نافع ومفيد باسم الفتوة واطلق عليها الباحثون الأوروبيون الفروسية[2].

وهذا الذي يفسر لنا اهتمام الناصر بالفتوة، فان السلطات بعد ان يئست من القضاء على هذه التنظيمات حاولت أن تدخل في صميمها على أمل التمكن من تغيير وجهتها أو تحطيمها من الداخل[3].

أما أحمد بن الياس النقاش فإنه يشير في كتابه " الفتوة " الذي ألفه واهداه للخليفة الناصر بأن هذه الأحزاب ويقصد بذلك الفتيان العيارين كانوا تائهين وعن الحق زائغين وعلى الباطل معتضدين وبالأماني متعللين سلكوا طريق الضلالة وحادوا عن سبيل الهداية وتألوا الفتن والابتداع والحيل. وغلبت عليهم الشقاوه.

إلى أن شرف الله الفتوة وأكرمها وأعلى منابرها بالإمام الخليفة الناصر لدين الله فشيد بنيانها ومهد أركانها، وألف أحزابها، وأرشد طلابها، واظهر انوارها، واوضح برهانها[4].

---

(١) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية) دراسات اسلامية ، ص٢٢٩.

(٢) د. أحمد مختار العبادي (الطوائف الصناعية او الأصناف) مجلة عالم الفكر، مج١١، ع١ (١٩٨٠/ ١٩٨١)، ص١٣٨.

(٣) جيراد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية) دراسات اسلامية ، ص٢٣٠.

(٤) مقدمة كتاب الفتوة/ د. مصطفى جواد، ص٥٤.

تطور مفهوم الفتوة زمن الناصر

حين جاء الناصر لدين الله إلى الخلافة ورأى ما يواجهه من أخطار اجنبية، كما أنه لاحظ آثار هذا التسلط الأجنبي من الناحية الاجتماعية وذلك باثارة الخلافات المذهبية وتوسيعها.

فحاول أن يوحد الكلمة ويجمع الصفوف وعمل في سبيل ذلك على توثيق صلته بالمثقفين من جهة وبالعامة والفتوة من جهة ثانية، وتعاون مع مختلف المذاهب، كل ذلك لإعادة وحدة الكلمة وتوثيق صلته بالتنظيمات الشعبية وأن يكسب تأييدها.

فدخل الناصر بالفتوة وتدرج فيها حتى ترأس تنظيماتها، وأزال الخلافات والتجزئة في صفوفها وتعزيز التماسك الداخلي وتأكيد سويتها الأدبية والخلقية وركز مقاييسها في الأخلاق والفروسية ووسع نطاقها لتتخطى نطاق رقعته التي يحكمها وقد نجح في ذلك. وبذلك اصبح الخليفة رئيس حركة شعبية واسعة، وأراد بذلك تدعيم الخلافة وترسيخ صفوفها[1].

فشرع الناصر في سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م بتوحيد طوائف الفتيان في طائفة واحدة تخضع له، ذلك أن ندمائه حسنوا له أن يكون فتى واحضروا له رجلاً اسمه عبد الجبار بن يوسف بن صالح[2]، وألبسه الشيخ عبد الجبار سراويل الفتوة[3].

هذه الفتوة تستحث الناس على التعاضد والتناصر وحفظ العهد وكتمان السر وصدق اللهجة، والعفة عن المحارم[4].

---

(١) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص٧٨، ٧٩، ٩٤.

(٢) عبدالجبار بن يوسف البغدادي، شيخ الفتوة وحاملُ لوائها، وكان قد علاً شأنه بكون الخليفة الناصر تفتّى إليه. توفي حاجاً سنة (٥٨٣هـ). انظر العبر في خبر من غبر ٤/ ٢٤٩، شذرات الذهب ٤/ ٢٧٥، الأعلام بوفيات الأعلام/ الذهبي ٢/ ٣٩٤.

(٣) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي) ع ٤٥، (١٩٨١)، ص١٥٥، عمر دسوقي (الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية أو المثل العليا)، ص٢٤١، مقدمة كتاب الفتوة / مصطفى جواد، ص٥٣.

(٤) د. مصطفى جواد (الفتوة واطوارها)، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٥، (١٩٥٨)، ص٦٤.

إن مراسيم الدخول في الفتوة الجديدة التي أسسها الخليفة الناصر لدين الله تكون مصحوبة بشرب كأس الفتوة، كما أن الفتيان لهم لباس خاص واهم ما يميزهم هو سروال الفتوة، وان الدخول في هذا النظام لا يتم إلا بعهد من الخليفة نفسه أو من الشخص الذي يحمل تفويضاً بذلك[1].

لم يكتف الناصر بالاعتراف بنظام الفتوة وانما اعلن من نفسه شخصياً زعيماً لهذا النظام وعاد به إلى أصوله الأولى "فتوة السلف الصالح"[2].

واختار الشيخ الزاهد عبد الجبار البغدادي صاحب الفتوة وألبسه سراويلها، وشرب لعبد الجبار ماء الفتوة المملوح[3].

ففي اليوم التاسع من شهر صفر من سنة ٦٠٤هـ أصدر الخليفةالناصر مرسوماً بتقرير قواعد الفتوة وأن الحدود الشرعية لا تسقط بالفتوة عمن يقتل النفس المحرم قتلها وانما يقتل بعد أن تنزع عنه سراويل الفتوة، ومن أوىَ مجرماً عوقب[4].

وفي سابع عشر رجب من سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م أحضر إلى باب البدريه من أبواب الخلافة العباسية ببغداد فتيين كانا قد اشتركا في قتل رجل، فنزعت عنهما سراويل الفتوة وقتلاً وألقيت جثتاهما على باب المدينة[5].

قال "الياس بن أحمد النقاش" في كتابه الفتوة بعد ذكره اختلاف الفتيان في البلد وسلوكهم طريق الضلاله واثارتهم الفتن واتيانهم البدع وارتكابهم الذنوب وميلهم إلى المجادلة والمكابره إلى أن شرف الفتوة وكرمها واعلى منارها وعظمها بالخليفة الناصر لدين

---

(١) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية، ص٢٤٥.

(٢) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي) ع٤٥، (١٩٨١)، ص١٥٥.

(٣) نفس المصدر ص١٥٥.

(٤) مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥، (١٩٥٨)، ص٦٧، دراسات اجتماعية، ص٢٩.

(٥) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية / عمر رضا كحاله، ص٢٩، مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥، (١٩٥٨) ، ص٦٧.

لله، فشيد بنيانها ومهد أركانها وألف أحزابها، وأرشد طلابها واظهر أنوارها، واوضح برهانها[1].

أما "جيرارد زالنغر" فيشير إلى أن الخليفة قد ازعجه انحراف الفتوة عن التقليد السامي وفساد تصرف أعضائها، الأمر الذي أدى إلى تفاقم الفروق بين طوائفها المختلفة، مما دفع ابن المعمار إلى وضع كتابه "في الفتوة" وذلك حينما لمس الرغبة عند جميع الناس في أن يكوّنوا فكرة دقيقة عن الفتوة، فقرر المؤلف رغبة منه في أن يخدم الخليفة وذلك بجمع قواعد الفتوة والمروءة.

كما أنه يشير في مقدمة كتابه بهذا الصدد بأن الناصر جمع ما كان مشتتاً من عاداتها واحياً ما كان قد اندثر من انظمتها[2].

والرهاصية التي ذكرها ابن المعمار في كتابه فقد كان عبد الجبار شيخ هذه الجماعة وقد سميت بهذا الاسم باسم احد رؤسائها السابقين عمر بن الرهاص، وقد ورد ذكره في كتاب انساب الفتوة الذي وضع للناصر بناء على ذلك يمكن القول بأن الناصر كان ذا صلة وثيقة بالرهاصية في بدء عهده بالفتوة[3].

أما "نور الدين علي بن احمد السخاوي الحنفي" فيشير بأن ابتداء هذا الأمر في سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م وذلك أن ندماء الخليفة الناصر حسنوا له أن يكون فتى واحضروا له رجلاً يعرف بعبد الجبار بن يوسف بن صالح له اتباع كثيرون، فألبس الخليفة سراويل الفتوة في بستان مقابل التاج[4].

أما "تيشنر" فيشير إلى أن الخليفة الناصر لدين الله الذي حكم في سنة ٥٧٥هـ - ٦٢٢هـ/ ١١٨٠م – ١٢٢٥م اهتم بالفتوة واعاد اصلاحها وتنظيمها بعد أن ألبسه في سنة

---

(١) مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥، (١٩٥٨)، ص٦٥-٦٦.

(٢) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية)، دراسات اسلامية، ص٢٢٢، ٢٢٨.

(٣) نفس المصدر ص٢٢٩.

(٤) مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥، (١٩٥٨)، ص٦٥.

٥٧٨هـ/ ١١٨٢م الشيخ عبد الجبار بن صالح البغدادي لباس الفتوة، فجمع ما تشتت من نظامها وشيد ما تعطل في احكامها، واقتدى به في ذلك زعماء البلاد والخواص، وسار الناس على نهجه مهتدين، وبفتوته متمسكين[1].

وعندما افضت الخلافة للخليفة الناصر، جعل لرمي البندق شأن لأنه كان مولعاً بذلك، وباللعب بالحمام المناسيب، ورمي الطير، ولبس سراويل الفتوة وقد بلغ من رغبته في ذلك حتى جعل رمي البندق فناً لا يتعاطاه إلا الذين يشربون كأن الفتوة ويلبسون سراويلها على أن يكون بينهم روابط وثيقة، وجعل الخليفة نفسه رئيساً لهذه الطائفة، يدخل فيها من يشاء ويحرم من يشاء. وفي سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م كتب إلى ملوك الأطراف الذين يعترفون بخلافته أن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها، وأن ينتسبوا إليه برمي البندق ويجعلوه قدوتهم فيه، فأجابوه إلى ذلك، فمن أراد الانتظام في سلك هذه الطائفة يأتي بغداد فيلبسه الخليفة السراويل بنفسه. كما أنه منع الرمي بالبندق إلا من ينتسب إليه[2].

فلبس سائر ملوك الآفاق سراويل الفتوة له وادعوا له في البندق، ووصل رسول الخليفة إلى حماه وأمره بأن يلبس للخليفة ويلبس الأكابر[3].

ويشير "ضياء الدين الدخيلي" في مقالة له عن الفتوة في مجلة الرسالة: بأن الناس اقبلت في خلافة الناصر على رمي البندق، وتربية الحمام لأن الخليفة نفسه كان كبير فتيان زمانه، ورغب في هذين الفنين وقد بلغ من رغبته أن جعل رمي البندق فناً لا يتعاطاه إلا

---

(١) المستشرق الألماني تيشنر (الفتوة والخليفة الناصر) المنتقى من دراسات المستشرقين، جـ١، ع١، ص١٩١-١٩٢.

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١، ق١، ص١٧٢-١٧٣ (الهامش)، الكامل في التاريخ ج١٠، ص٤٥٣، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٥ ص٩٧-٩٨، فرانز تيشنر (الفتوة والخليفة الناصر/ المنتقى من دراسات المستشرقين، جـ١، ع١: ص١٩٣، تاريخ التمدن الإسلامي، ج٣ ص٦٩٩.

(٣) مقدمة كتاب الفتوة ، ص٦٩.

الذين يشربون كأس الفتوة ويلبسون سراويلها على أن يكون بينهم روابط وثيقة على نحو ما عند بعض الجمعيات السرية[1].

أما دائرة المعارف الإسلامية فتشير إلى أن الناصر لم يكن مجرد مؤيد بسيط وعادي للفتوة فقد حاول ضمن حدوده توحيد وضبط وتنظيم الفتوة في بغداد، بينما شجع الدوائر الحاكمة الدينية والعسكرية والسياسية بالانتماء إليها بهدف تحويلها إلى أداة تثقيف للمجتمع وللتعاون العام الذي كان في السابق مصدر اضطراب وللتصالح مع الفرقة الصوفية[2].

أما المؤرخ التونسي والعالم الاجتماعي الكبير ابن خلدون فيشير إلى أن الناصر كثيراً ما يشتغل برمي البندق واللعب بالحمام المناسيب ويلبس سراويل الفتوة شأن العيارين من اهل بغداد،وكان له فيها سند إلى زعمائها يقتصر على من يَلبسُه اياها، وكان ذلك كله دليلاً على هرم الدولة وذهاب الملك من أهلها بذهاب ملاكها منهم[3].

أما ابن الأثير فيشير بهذا الصدد إلى أن غرام الخليفة الناصر بهذه الأشياء (رمى البندق والحمام المناسيب) من أعظم الأمور، وكان سبب ما ينسبه العجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم[4].

أما مصطفى جواد فيشير أيضاً إلى أن الخليفة الناصر لما رأى ما عليه العالم الإسلامي من التشتت والضعف والاختلاف والإنحراف والتمادي والتعادي في التنازع وإثارة الشر بينهم واشتداد قوة الافرنج المعروف بالصليبيين وتمكنهم من بلاد الإسلام. وأن العالم الإسلامي يحتاج إلى تجديد قوته واحياء همته وإعادة اتحاده وتوحيد منهجه لمقاومة

---

(١) ضياء الدين الدخيلي (الفتوة في التاريخ الإسلامي)، مجلة الرسالة (١٩٤٨)، ع٧٨٢، ص٧٢٥.

(٢) Taeschner, Fr., "Futuwwa", E.T,[٢] Voll.II PP. ٩٦١-٩٦٩.

(٣) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية) دراسات اسلامية، ص٢٣٣.

(٤) الكامل في التاريخ ج١٢ ص٤٤٠.

الإفرنج الصليبيين من الغرب والكرج من الشمال والسلجوقيين واتباعهم من الشرق والمحافظة على استقلال البلاد الإسلامية، فعمد إلى الفتوة، وفيها أعظم قوة لن يستطيع أن يستعملها وينظمها تنظيماً عظيماً فاستعملها الناصر، وربّى في الدول الإسلامية جيلاً جديداً شجاعاً محارباً مجاهداً.

ويتابع مصطفى جواد كلامه قائلاً: وفي الحق أن الخليفة الناصر لدين الله جدد بالفتوة شباب الأمة ووحدها في الداخل والخارج وجعل بغداد المركز العالمي للسياسة في الشرق والغرب، حتى أن أحد امراء المانيا كتب إليه كتاباً يطلب فيه الدخول في فتوته ويرى أن الناصر أهلاً لأكثر من هذا المدح وذلك لتوحيده العرب والمسلمين بعد أن نسوا الاتحاد واعادته إليهم عزهم بعد ضياع وافتقاد[1].

---

(١) مصطفى جواد (الفتوة واطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين)، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥ (١٩٥٨)، ص٦٣-٦٦.

أهداف الناصر من تبنيه للفتوة

بعد أن درسنا تطور مفهوم الفتوة زمن الناصر لا بد من التعرض للأهداف التي حدَت بالناصر لدين الله من تبنيه لهذه الفتوة.

وكان هدف الناصر من وراء احياءه للفتوة تنظيم الشباب وخلق جيل جديد يتحلى بالمبادئ السامية والأخلاق الكريمة والعادات الحسنة. فضلاً عن اعادة هيبة الخلافه العباسية التي فقدتها منذ قرون[1].

وقد كانت الأهداف الرئيسية للخليفة الناصر هو توجيه جميع الفئات والعائلات والتنظيمات الإسلامية تحت جناح الخلافة، ففي البداية (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، أسس هو نفسه الفتوة في بغداد بقيادة الشيخ الزاهد عبدالجبار[2].

وقد حاول الخليفة الناصر محاولة ضئيلة لآخر مرة أن يحيي معالم الخلافة ويبعث فيها شيئاً من النشاط والقوة، وقد وجد الوقت ملائماً لأن أمراء السلاجقة قد بدءوا يتخاصمون فيما بينهم ويكيد بعضهم لبعض، فحاول استرجاع شيء من سلطته المفقودة ببغداد فأسس نظام الفتوة وكان هدفه تهيئة طائفة قوية من الفتيان علهم يساعدون في الحروب الصليبية[3].

كان الناصر يهدف من هذا العمل أن يستحث الناس على التعاضد والتناصر وحفظ العهد وكتمان السّر وصدق اللهجة والعفة عن المحارم[4].

على أن أكبر محاولة سياسية قامت بها الخلافة العباسية للاستفادة من طوائف هؤلاء الفتيان في مواجهة خصومها والسيطرة أو الهيمنة عليهم وتوجيههم بالقدر الذي تتشكل

---

(١) د. أحمد مختار العبادي (الطوائف الصناعية أو الأصناف) مجلة عـالم الفكـر/ مـج١١/ع١ (١٩٨٠-١٩٨١) ص١٣٩.

(٢) Taeschner, Fr., " Futuwwa" E,I,٢ Vol.II, PP. ٩٦١-٩٦٩.

(٣) الفتوة عند العرب ، ص٢٥٠-٢٥١.

(٤) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي)، ع٤٥، (١٩٨١)، ص١٥٥.

معه خطورة منهم على سلطة الدولة وهيبتها تلك المحاولة الكبيرة التي قام بها الخليفة الناصر لدين الله وقد هاله تمردهم وخروجهم على الطاعة وعصيانهم أمر الخليفة وما يقومون به من تلصص وعيارة وتشطر[1].

وفي الحق أن الخليفة الناصر ما كاد يبايع بالخلافة حتى أخذ يفكر في شؤون الأمة ومصالح الرعية وكان يرى بأيمان وثيق وأيقان عميق أنه خليفة رسول الله، ورأى الناصر أن العالم الإسلامي لا يزال اما مستعمر أو مهدد بالاطماع الأجنبية أو بأيدي دويلات صغيرة يدعون الخلافة، وأن العراق مقر الخلافة مهدد أيضاً بالأخطار من قبل الدولة السلجوقية واتباعها من الإمارات المستقلة، فأراد بذلك أن يجدد شباب الأمة الإسلامية بهذه الفتوة ويوحدها في الداخل والخارج ويجعل بغداد المركز العالمي للسياسة في الشرق ولجميع بلاد الإسلام[2].

وكان الناصر يهدف إلى توجيهها كيفما يشاء ويوطد عن طريقها دعائم حكمه ويستعيد ولاء أصحابها، فلا يخرقون هيبة الدولة ومحاولة الاستفادة من هذا التيار الشعبي الجارف الذي يتعاطف معها والوجدان الديني الصوفي الذي يؤيدها[3].

والتساؤل الذي يطرح، هل كان تأليف الناصر نظام الفتوة على هذا الوضع للرياضة والترف لا غير أو أن هناك دوافع آخرى دعت إليه؟.

وبالرغم من أن الناصر كان من هواة الرياضة إلا أن عصره كان مليئاً بحوادث جسيمة فقد كان معاصراً لصلاح الدين الأيوبي، والحرب مع الصليبيين على أشدها، والمسلمين جميعاً مجندين في هذه الحرب المقدسة، وشعار الفتوة دائماً التضحية والجهاد والمحافظة على الشرف.

---

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي)، ع ٤٥، (١٩٨١)، ص١٥٤.

(٢) مصطفى جواد (مقدمة كتاب الفتوة)، ص٥٥-٥٦.

(٣) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي)، ع٤٥، (١٩٨١)، ص١٥٥.

هل أن نظام الفتوة بما فيه من شرب الكأس ورمي البندق والأخذ بنظام الفتوة كان لمجرد اللهو وقتل الوقت؟[1].

وقد تعددت اراء واجتهادات المؤرخين الذين كتبوا بهذا الموضوع وذلك ببيان الأهداف التي كان الناصر يطمح إليها من خلال تطبيق نظام الفتوة.

فتيشنر يشير إلى أن الناصر كان له نشاط سياسي طوال فترة حكمة الذي دام ٤٥سنة، "فتيشنر" حاول أن يربط سياسة الفتوة ونشاط الخليفة السياسي، ويرى أن هدف الناصر الأول هو إعادة تنظيم سلطة الخلافة الدينية كما أنه قام بتركيز الفتوة في شخصه ونشرها بين الأمراء في العالم الإسلامي، وذلك عائد لنقص القوى العسكرية لديه وليخلق بواسطة هذه التبعية القوية بين أفراد الفتوة حزباً من الأمراء يستطيع أن يسخرهم عند الحاجة لتنفيذ رغباته[2].

أما "جيرارد زالنخر" تفنيداً لآراء "تيشنر" بخصوص أهداف الخليفة الناصر وهو كيف كان يمكن للفتوة أن تساعد الخلافة على استعادة منزلتها السياسية؟ وههنا يتجلى اختلاط المفاهيم بشأن الفروسية، مما أدى إلى هذه المباينة الشديدة في الآراء، فقد كانت الفتوة بالنسبة إليه وسيلة لدعم سلطانه في جميع الأقطار الإسلامية وقد أصبح التشديد بشأنها ضروره ماسه في الوقت الذي بلغت فيه الوسائل الحقيقية لتعزيز الخلافة سيما وأن الرقعة التي أصبحت تحت تصرفه كانت صغيرة.

كما أن سلطته الزمنية فيها أصبحت موضع نزاع شديد ولا شك في أن الخليفة كان يتمتع بمركز الشرف الأول بالنسبة إلى حكام العالم الإسلامي، ولكن هذا لم يكن يعني في الواقع إلا شيئاً قليلاً فحاول الناصر أن يربط الأمراء إليه شخصياً عن طريق واجبات

---

(١) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية/ عمر دسوقي، ص٢٤٦.

(٢) المستشرق الألماني فرانز تيشنر (الفتوة والخليفة الناصر) المنتقى من دراسات المستشرقين، ج١، ع١، ص١٩٩.

التبعية المتحدرة من انضمامهم إلى جماعة الفتوة، وكما أصبح الأمراء مرتبطين بشخص الخليفة بحكم انضمامهم هذا[1]".

أما الرأي الثاني "لجيرارد زالنغر" في تفنيده لما اورده تيشنر بخصوص اهداف الناصر من تبنيه الفتوة، فيشير إلى أن تيشنر اظهر بما لا يقبل الريب بأن الناصر تنصل تماماً من حروب الجهاد التي جرت في أيامه وعليه فاهتمامه بالفتوة لم يكن ناتجاً عن أية فكره متصلة بالجهاد.

والدليل الذي يسوقه زالنغر على ذلك بأن صلاح الدين الذي كان معاصراً للخليفة الناصر جاهد ضد الصليبيين جهاداً مريراً حتى انترع منهم الموقع بعد الآخر وقد طلب صلاح الدين من الناصر العون والمساعدة في جهاده ضد الصليبيين، ولكن الخليفة المقيم في بغداد بعيداً عن المعركة لم يعني بالاحداث القائمة في الغرب حيث كانت تقوم المعارك في سبيل الدين، واكتفى بأن أرسل إلى صلاح الدين بالاضافة إلى كلمات التشجيع فئة قليلة من المقاتله ويدلك زالنغر بأن انعدام الحديث عن الجهاد في كتب الفتوة يدل دلالة واضحة ولو بطريقه سلبيه على أن الخليفة لم يكن يهتم بالجهاد.

ويتابع زالنغر كلامه: ومع ذلك فجواب تيشنر يبدو مثل الجواب السابق شيئاً غير مقنع لأنه يشير إلى أن الناصر استغل ضعف الدولة السلجوقية ليفيد في تغذية طموحه البعيد فحاول من جهة أن يعيد للخلافة العباسية ما كان لها من مكانه سياسية كانت قد فقدتها منذ القرن العاشر الميلادي واراد من جهة أخرى أن يقضي على الاختلافات في العالم الاسلامي لا سيما الخصومه القديمة بين السنة والشيعة، وقد حاول تحقيق هذين الهدفين عن طريق تقوية الفتوة[2]".

أما تفنيد جيرارد زالنغر لرأي "فتك" فهو يطرح هذا التساؤل: لماذا كان الناصر زعيم الفتوة الأكبر؟ وهناك جوابان لهذا السؤال احدهما "لفتك"، أما جواب "فتك"

---

(١) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية)، دراسات اسلامية، ص٢٢٧

(٢) نفس المصدر ص٢٢٧.

فهو: أن قبول امراء معينين من سورية والعراق وآسيا الصغرى وحتى غزنة لسراويل الفتوة من الناصر بل وطلب بعضهم لها منه يقوم دليلاً على حرص الخليفة على أقامة خط دفاع يقي البلاد من زحف الصليبين على المسلمين، ويشير أيضاً إلى أن طوائف الغزاه أو المتطوعة في خراسان كانت في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين قد احتذت تقاليد الفتوة، وأن الناصر اراد أن يوحد مقاتله الجهاد الجدد تحت لوائه وان يرد في الوقت نفسه إلى الخلافة العباسية الهيبة التي كانت قد فقدتها منذ قرون.

ويتابع "فتك" رأيه كما أورده تشينر قائلاً: ان الخليفة الناصر جعل من هيئات الفتوة منظمة يقوم هو بنفسه على رأسها وليس ثمة ما يرمي إليه سوى أن يربط هؤلاء المقاتله إلى شخصه برباط جديد، وفتوة المدن كانوا من هذا النوع كما كان الصناع في المدن ذوي أهمية خاصة لمثل هذه الغاية ولكن الذي كان يرمي إليه الناصر الاهتمام بهم هم رؤساء الجيش والأمراء.

لقد كان هؤلاء يؤلفون طبقة متميزه ولم يكن من الممكن دمجهم في المنظمات المدنية كان من الضروري أن يكون لهم منظمة خاصة بهم ذات طابع من نوع الفروسية[1].

أما تفنيد "جيرارد زالنغر" لرأي ابن المعمار فهو الآتي:

إلا أن السؤال الذي يواجهنا الآن هو لماذا لم يكن أحد الخلفاء قد سبق له أن اتصل بالفتوة فما الذي حمل الناصر على اعادة تنظيم الفتوة بل وتولى رئاستها، ويتابع "زالنغر" تفنيده قائلاً: لنلق أولاً نظره على رأي ابن المعمار فبعد أن يعدد أحد عشر حامياً من حماة الفتوة مبتدئاً بأحد أصحاب الرسول (صلعم) سليمان الفارسي يستأنف الكلام قائلاً: وهكذا تحدرت الفتوة إلى أيامنا باستمرار وتشعبت إلى فروع مختلفة كالرهاصية والخليلية والمولدية والنبوية والشحينية وبما أن هذه التقسيمات لم تتم وفقاً لانظمة الفتوة أو وفقاً لعادات الأجداد الشرفاء أو نهجهم في العمل، أخذت الخلافات بينهم تزداد باطراد.

---

(١) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية)، دراسات اسلامية، ص٢٢٥-٢٢٦.

ولما كان هذا قد استمر حتى أيام سيدنا الإمام الناصر أمير المؤمنين، فقد حصر اهتمامه في التحقق من الانتساب (انساب الفتوة) ثم اتخذ كبيراً له في الفتوة المتنسك المفضال التقي الشيخ عبد الجبار بن صالح البغدادي لأن حياته كانت نقيه وكذلك طريقته[1].

أما تفنيده لرأي ابن خلدون فقد اشار إلى ما يلي:

فالذي يراه ابن خلدون في فتوة الناصر انها لعب هواه يمثل تصرف فرد من افراد سلالة بلغت الغاية من الانحلال[2].

أما رأي "جيرارد زالنغر" هو نفسه في فتوة الناصر فيشير قائلاً: قد نسلّم بأن رابطة الفتوة قد تزود جماعة معينة بالأساس الخلقي والعقائدي وتجمع بين افرادها وتوثق الصلة بينهم وبين رئيسهم لكنها لم تكن جديره بأن تغدو أساساً قوياً لاعادة النشاط إلى الخلافة وهي التي تقوم على فكرة انضمام المسلمين عامة تحت امرة الخليفة[3].

ويتابع زالنغر قوله: فما هو الضوء الذي تلقيه هذه المعلومات المتقدمة زمنياً على سياسة الناصر نحو الفتوة؟ يبدو أن الاضطرابات التي حاول الناصر أن يضع لها حداً عن طريق تشريعه للفتوة لا يختلف إلا قليلاً عن الاضطرابات التي اثرت في الفتوة قبل أيام الناصر بزمن طويل، ورغم قلة ما بين أيدينا من معلومات يبدو اننا لا نعدو محجة الصواب أن قدرنا أن الناصر قد رمى مما فعله أصلاً إلى السيطرة على جماعات الفتوة وخاصة في بغداد والعراق، حيث كانت للخليفة سلطة فعلية، فإن رئاسته للفتوة قد يقوي السلطات العامة في موقفها من هذه الجماعات[4].

---

(١) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية)، دراسات اسلامية، ص٢٢٩.

(٢) نفس المصدر، ص٢٣٣.

(٣) نفس المصدر، ص٢٢٨.

(٤) نفس المصدر، ص٢٣٢.

أما رأي فتك في أهداف الناصر كما أورده تيشنر: ويرى "بوك فتك" أن هدف الناصر السياسي الذي حاول الوصول إليه بإعادة تنظيم الفتوة كان دعم الجهاد ومقاتلة الصليبيين، ولكن نرى (الكلام لفتك) مما ذكره المؤرخون أن الناصر لم يهتم قط بهذه الأمور، وبعكس ذلك نرى زالنغر أن غرض الناصر من هيمنته على الفتوة كان رقابة النقابات الشاذة التي أثارت في بغداد خاصة قبل حكمه فتناً وقلاقل استمرت سنين وأرهبت الناس[١].

أما "رأي ابن خلدون" كما أورده فرانز تيشنر: والأمر الذي يجب معرفته الآن هو كيف ينبغي أن يفسر عمل الخليفة الناصر بتبنيه الفتوة أكان ذلك لهواً من الخليفة، أو أن الخليفة كان يرمي به إلى هدف سياسي؟

أن المؤرخين لا يذكرون شيئاً وكذلك كتب الفتوة لا تفصح عن شيء غير أن ابن خلدون بين رأيه في سياسة الناصر رغم أنه كان بعيداً عن العصر واحواله، ويتابع حديثه قائلاً: فكان مع ذلك كثير ما يشتغل برمي البندق واللعب بالحمام المناسيب ويلبس سراويل الفتوة شأن العيارين من أهل بغداد، وكان له فيها سند إلى ممن ألبسه أياها وكان ذلك كله دليلاً على هرم الدولة وذهاب الملك من أهلها بذهاب ملاكها منهم.

ويخيل لابن خلدون أن سياسة الناصر من الفتوة كانت لهواً وطيشاً وعد ذلك في أوقات انحطاط الخلافة العباسة التي مهدت سقوطها[٢].

أما عمر رضا كحالة فيرى أن الخليفة قد جدد بالفتوة شباب الأمة ووحدها في الداخل والخارج، ثم رأى الناصر أن نزاعاً يحدث أحياناً بين أحزاب الفتيان فيحدث فشلاً في الأمة وضعفاً، فضلاً عن اخلاله بالأمن وبالتالي تؤدي إلى سفك الدماء[٣].

---

(١) فرانز تيشنر (الفتوة والخليفة الناصر) المنتقى من دراسات المستشرقين، ج١، ع١، ص٢٠٠.

(٢) نفس المصدر، ص١٩٩.

(٣) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، عمر رضا كحاله، ص٢٩.

ويتابع عمر رضا كحاله كلامه قائلاً: بأن الخليفة الناصر لدين الله رأى ان العالم الإسلامي يحتاج إلى تجديد قوته واحياء همته وإعادة توحيده، وتوحيد منهجه لمقاومة الافرنج الصليبين والكرج من الشمال والسلجوقيين واتباعهم من الشرق، والمحافظة على استقلال البلاد الإسلامية، فعمد إلى الفتوة وفيها اعظم قوة لمن يستطيع أن يستعملها وينظمها تنظيماً عظيماً فاستعملها الناصر وربى في الدول الإسلامية جيلاً جديداً شجاعاً محارباً مجاهداً يتمتع بفضائل النفس والبدن كالفروسية والعلم بالحرب والقتال والمسابقة والرمي والمراماة وابتدأ ذلك بسلوك الطريق المشروع، فأخذ فتوته من الشيخ عبدالجبار بن يوسف ابن صالح البغدادي رئيس الفتيان في زمانه[1].

أما الدكتور مصطفى جواد مؤلف كتاب الفتوة وأحد المعاصرين للخليفة الناصر فيشير إلى أنه وحد الأمة الإسلامية بمساعيه، ومنها الفتوة وأعاد إلى العرب عزتهم المسلوبة وإلى الإسلام قوته وبهجته[2].

أما الدكتور محمد رجب[3] النجار فيشير في ذلك قائلاً: لماذا كان الناصر زعيم الفتوة الأكبر؟

وثمة اربع اجابات عن هذا السؤال جاء ثلاث منها في دراسة "جيرارد زالنغر" وهي:

١ - أولها: يشير إلى حرص الخليفة على اقامة خط دفاعي من هؤلاء الفتيان يقي به البلاد من زحف الصليبيين على المسلمين.

---

(١) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، عمر رضا كحالة، ص٢٨.

(٢) مقدمة كتاب الفتوة (مصطفى جواد)، ص٧٢.

(٣) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي)، ع٤٥، (١٩٨١)، ص١٥٦-١٥٧.

٢- ثانيهما: أن الخليفة الناصر انما فعل ذلك مستغلاً ضعف الدولة السلجوقية ليفيد في تغذية طموحه البعيد، فحاول من جهة أن يعيد للخلافة العباسية ما كان لها من مكانه سياسية كانت قد فقدتها منذ القرن العاشر الميلادي.

٣- والثالث: أراد أن يقضي من جهة أخرى على الاختلافات القديمة بين السنة والشيعة وقد حاول تحقيق هذين الهدفين عن طريق تقوية الفتوة.

٤- والرابع: أن الناصر أراد أن يجدد شباب الأمة الإسلامية بهذه الفتوة ويوحدها في الداخل والخارج ويجعل بغداد المركز العالمي للسياسة في الشرق ولجميع بلاد الإسلام.

ويشير الدكتور محمد رجب النجار بفشل سياسة الناصر في تدجين العناصر المتمردة التي أطلق عليها مؤلفوا كتب الفتوة(*) " فتوة الجهال المتأخرين" تمييزاً لهم عن فتوة السلف الصالح[1].

ومجمل القول أن فتوة الناصر كانت محاولة يائسه لاعادة تنظيم سلطة الخلافة دينياً وعسكرياً وسياسياً، ولكن بعد فوات الأوان فذهبت محاولاته ادراج الرياح[2].

(*) تم تأليف كتابين في الفتوة للخليفة الناصر لدين الله الأول لابن المعمار، والثاني احمد بن الياس النقاش

(١) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي) ع٤٥، (١٩٨١)، ص١٥٨.

(٢) نفس المصدر، ص١٦٠.

حذف الفتوة غير الرسمية وتأسيس الفتوة الناصرية

عندما رأى الناصر أن الفتوة لا تزال تتعرض لأن تكون مصدراً للجرائر والكبائر والاضطراب واختلال الأحوال، فأصدر أوامره باهدار الفتوة القديمة وذلك في سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م، وأمر أن تجدد فتوة الفتيان الذين لم يأخذوا التفتي عنه ويكون هو القبلة في ذلك[١].

ويذكر ابن الساعي المؤرخ البغدادي في حوادث سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م ما يلي "في هذه السنة أهدرت الفتوة القديمة وجعلَ أمير المؤمنين الناصر لدين الله رضي الله عنه القبلة في ذلك والرجوع إليه، وقد شرف عبد الجبار بالفتوة إليه، وكان شيخاً متزهداً فدخل في ذلك الناس كافة الخاص والعام"[٢].

وسأل ملوك الأطراف الفتوة، فنفذ إليهم الرسل، ومن البسهم سراويل الفتوة بطريق الوكالة الشريفة وانتشر ذلك ببغداد وتفتى الأصاغر والأكابر[٣].

والسؤال الذي يجب أن يُسأل هو: متى اعتمد الخليفة الناصر اصلاح الفتوة بحيث أصبح هو نقطة الدائرة في هذا النظام وابطل على الأثر دعوى كل عضوية لا يقرها هو أو منتبوه[٤].

وعندما رأى الناصر أن نزاعاً ما سيحدث بين احزاب الفتيان فيحدث فشلاً في الأمة وضعفاً فضلاً عن اخلاله بالأمن، وتؤدي إلى سفك الدماء، فأصدر في سنة ٦٠٤هـ /

---

(١) مقدمة كتاب الفتوة / مصطفى جواد، ص٦٣.

(٢) المستشرق الألماني تيشنر "الفتوة والخليفة الناصر"، المنتقى من دراسات المستشرقين، ج١، ع١، ص١٩٢-١٩٣.

(٣) مقدمة كتاب الفتوة/ مصطفى جواد، ص٦٧.

(٤) جيرارد زالنغر "الفتوة هل هي الفروسية الشرقية"، دراسات اسلامية، ص٢٣٢.

١٢٠٧م منشوراً بابطال جميع الفتوة القديمة واثبات فتوته وحدها، وعملَ نفسه المرجع الأعلى لهذه الفتوة وإمامها ، وكان قد شرف عبد الجبار بالفتوة إليه[1].

فأبطلت الفتوة في البلاد جميعها إلا من لبس سراويلها منه، ومنع الرمي بالبندق إلا من انتسب إليه ولَبّس سائر ملوك الآفاق سراويل الفتوة ودعوا له في رمي البندق، ووصل رسله إلى حماه في أيام الملك المنصور وأمره بأن يلبس للخليفة، ويلبس الأكابر له فأمر الملك المنصور الشيخ سالم بن نصر الله بن واصل الحموي بعمل خطبه في الفتوة، فعمل خطبه واستشهد بآيات من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى:﴿إذْ أوى الفتية إلى الكهف﴾[2].

وجعل الخليفة الناصر همه في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويل الفتوة، كما أنه منع الطيور المناسيب لغيره إلا ما يؤخذ من طيوره ومنع الرمي إلا من ينتمي إليه[3].

فشيد بنيانها ومهد أركانها وألف احزابها وأرشد طلابها وأظهر انوارها، وأوضح برهانها فبطلت البيوت إلا ما شيده وبناه وتعطلت تلك المعاقل إلا ما اختاره واصطفاه[4].

---

(١) الجامع المختصر، ج٩، ص٢٢١-٢٢٢، مصطفى جواد " الفتوة وأطوارها" مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥، (١٩٥٨)، ص٦٦، عمر رضا كحاله (دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية)، ص٢٩.

(٢) مصطفى جواد " الفتوة وأطوارها"، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥ (١٩٥٨)، ص٦٨، تاريخ التمدن الإسلامي، ج٣، ص٦٩٩. الصعلكة والفتوة، ص٦٦، ابراهيم الواتلي " الفتوة عند العرب" مجلة الرسالة، ع٩٣٢ (١٩٥١)، ص٢٤٤ والآية ١٠ من سورة الكهف.

(٣) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية)، دراسات اسلامية، ص٢٢١.

(٤) المستشرق الألماني فرانز تيشنر (الفتوة والخليفة الناصر) المنتقى من دراسات المستشرقين ج١، ع١، ص١٩٢.

ففي ٤ أيلول سنة ١٢٠٧م/ ٦٠٤هـ أهدرت الفتوة القديمة وأصدر الخليفة الناصر لدين الله المرسوم التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم ... قد أمر الخليفة كل من تشرف بالفتوة أنه من قتل له رفيق نفساً نهى الله تعالى عن قتلها وحرمه وسفك دماً حقنه الشرع المطهر وعصمه أن يتزل عنه في الحال في جمع الفتيان عند تحققه لذلك ومعرفته.

وأن كل فتى يحوي قاتلاً ويخفيه ويساعده على أمره ويؤويه ينزل كبيره عنه وبغير رقاقته ويتبرأ منه. فإن الفتى متى قتل فتى من حزبه سقطت فتوته ووجب ان يؤخذ منه القصاص.

وأنّ قتل غَيْر فتىً عون من الأعوان أو متعلقاً بديوان بلد سيدنا ومولانا المفترض الطاعة على كافة الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين فقد عيب هذا القاتل في حرم صاحب الحزب (الخليفة) بالقتل فكأنما عيب كبيرة فسقطت فتوته بهذا السبب الواضح ووجب أخذ القصاص منه عند كل فتى راجح.

وليعلم الرفقه الميمونه ذلك وليعملوا بموجبه وليجروا الأمر في امثال ذلك على مقتضى المأمور به وليقفوا عند المحدود في هذا المرسوم المطاع ويقابلوه بالانقياد والاتباع – إن شاء الله تعالى.

(كتب في تاسع صفر سنة أربع وستمائة (٤ أيلول سبتمبر١٢٠٧م): وسلم إلى كل واحد من رؤساء الأحزاب منشوراً بهذا المثال فيه شهادة ثلاثين من العدول.

ثم كتب تحت كل مرسوم ومنشور ما هذا صورته " قابل العبد ما تضمنه هذا المرسوم المطاع وقابله بما يجب عليه من الانقياد والاتباع والامتثال وهو الذي يجب العمل به فتوة وشرعاً وهذا المعروف من سيرة الفتيان المحققين نقلاً.

وقد الزمت نفسي اجراء الأمر على ما تضمنه هذا المرسوم الأشرف فمتى جرى ما ينافي المأمور به المحدود فيه كان الدرك لازماً لي والمؤاخذه مستحقة على ما يراه صاحب الحزب، ثبت الله دولته واعلى كلمته وكتب فلان بن فلان في تاريخه[1].

---

(١) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية)، دراسات اسلامية، ص٢٢١.

فأجابه الناس بالعراق وغيره إلى ذلك إلا انساناً واحداً يقال له "ابن السفت" من بغداد، فانه هرب من العراق ولحق بالشام، فأرسل إليه الخليفة الناصر يرغبه بالمال ليرمي عنه وينسب في الرمي إليه. فلم يفعل[1].

والسؤال الذي يجب أن يسأل هو: متى اعتمد الناصر اصلاح الفتوة، بحيث أصبح هو نقطة الدائرة في هذا النظام وابطل على الأثر دعوى كل عضوية لا يقرها هو أو مندوبوه؟

يقول ابن الساعي أن هذا الاصلاح تم في السنة نفسها التي اذيع فيها أمر الخليفة أي في سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م لكن "تيشنر وكالة" كلاهما يرفضان هذا التاريخ على اعتبار ان قبوله يعني الاعتراف بأن الخليفة كان قد أصبح رئيساً للمنظمة على أنه من المحتمل أن يكون قد حقق الأمرين في سنة واحدة، فلعل الخليفة كان قد انتظم عضواً عادياً في الفتوة في سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م وحاذر قدر المستطاع أن يقوم بعمل ربما أدى إلى مغامرة جسيمة لكنه عمد في سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م إلى اتخاذ الخطوة الحاسمة لأن الاضطرابات بلغت من الاتساع حداً لا يسمح بالتردد[2].

وكانت محاولته بتجديد الفتوة وجعلها شاملة وظهور أدب جديد يحدد مفاهيمها ويبلورها بما يبعد الانتقادات السابقة عنها[3].

---

(١) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية)، دراسات اسلامية، ص٢٢١.

(٢) نفس المصدر ص٢٣٢.

(٣) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص٧٩.

نشر الفتوة بين ملوك الأطراف

بعد ان تم حذف الفتوة غير الرسمية، وتأسيس الفتوة الناصرية، أخذ الناصر لدين الله بنشر هذه الفتوة بين الأمراء المجاورين وذلك بادخالهم في التنظيم الجديد وجعلهم مسؤولين عن جماعات الفتيان في بلادهم[1].

وقد أرسل الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا كأس الفتوة، ويلبسوا له سراويلها وأن ينتسبوا إليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم فيه[2].

ثم تفتى إلى الناصر خلق من الملوك والأكابر وكان بهذا الفعل أي الفتوة يستحث الناس على التعاضد والتناصر وحفظ العهد وكتمان السر وصدق اللهجة والعفة عن المحارم، وأرباب الفتوة يسندونها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[3].

وكان الناصر قد شرف عبد الجبار بالفتوة إليه ووردت رسل الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف يسألهم الانضمام إلى الفتوة الجديدة التي أقرها وأن يلبسوا سراويلها وينسبوا إليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم، كما أنه قام بإلباسهم سراويل الفتوة بطريق الوكالة الشريفة.

وانتشر ذلك في بغداد وتفتى الأصاغر إلى الأكابر، ودخل فيها أفواجٌ من الخاص والعام[4].

---

(١) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص٧٩.

(٢) الفتوة عند العرب واحاديث الفروسيه ص٢٤٣، مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥، (١٩٥٨)، ص٦٨.

(٣) دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية / عمر رضا كحالة ص٢٨. محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين)، ع٤٥، (١٩٨١م)، ص١٥٥.

(٤) الجامع المختصر ج٩ ص٢٢٢، المستشرق الألماني تيشنر (الفتوة والخليفة الناصر) ج١ ع١ ص١٩٣. أبو الفداء حوادث سنة ٦٠٦هـ/١٢٠١م، مقدمة كتاب الفتوة / مصطفى جواد ص٥٦، دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية ص٢٩، جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية)، دراسات اسلامية ص٢٢٤.

ففي سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م بعث الخليفة الناصر بالخلع وسراويل الفتوة إلى الملك العادل الأيوبي وأولاده مع علي بن عبد الجبار ويوسف العقاب فلبس الملك العادل الخلع والسراويل في رمضان بدمشق(١).

كما أنه ارسل في سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م وهي السنة التي توفي بها الخليفة الناصر رسلاً إلى نور الدين والملك العادل شقيق صلاح الدين والملك الصالح وشهاب الدين حاكم غزة ومعهم كأس الفتوة وسراويلها لكي ينتظموا في سلك فتيانه وهم من كبار القادة في الحروب الصليبية(٢).

فشرب ملوك الأطراف كأس الفتوة للخليفة الناصر ولبسوا سراويلها، فوردت عليهم الرسل بذلك ليكون انتماؤهم له، وأمر كل ملك أن يسقى رعيته ويلبسهم لتنتمي كل رعية إلى ملكها، ففعلوا ذلك وأحضر كل ملك قضاة مملكته وفقهاءها وأمراءها وأكابرها وألبس كلاً منهم له وسقاه كأس الفتوة، وكان الخليفة الناصر مغرماً بهذا الأمر وأمر الملوك أيضاً أن ينتسبوا إليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم فيه(٣).

ويشير الاستاذ "ابراهيم الوائلي" في مقال له عن الفتوة في مجلة الرسالة بأن اطلق عليها اسم " فتوة المترفين" وأن هذه الفتوة تتجلى في الصيد والرماية وأصحاب هذه الفتوة من ارباب الثراء والجاه وابرز مظهر لها في عهد زعيمها الناصر لدين الله المتوفى سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م.

ويتطرق في حديثه إلى الأيوبين الذين طلب منهم الناصر الانتظام في سلك فتيانه ثم المماليك الذين جاؤوا بعدهم، وما كان من شأن هؤلاء بمحاربة الصليبيين وتأثير الفتوة

---

(١) مقدمة كتاب الفتوةص٦٧.

(٢) الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا ص٢٤٦، الفتوة والصعلكة في الإسلام ص٦٧-٦٨.

(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ج١ ق١ ص١٧٢، مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٥ (١٩٥٨) ص٦٨-٦٩.

فيهم، فقد تعلموا من خلالها الرماية والصيد، ويشير إلى أن الناصر أراد أن يجعل هذه الفتوة مدرسة تخرج منها المجاهدين والمدافعين عن بلاد الإسلام[1].

فكتب الناصر لدين الله في سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م إلى ملوك الأطراف الذين يعترفون بخلافته أن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها وأن ينتسبوا إليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم، فأجابوه إلى ذلك، فمن أراد الانتظام في سلك هذه الطائفه يأتي إلى بغداد فيلبسه الخليفة السراويل بنفسه فأجابه الناس في العراق[2].

وظهرت الفتوة والبندق والحمام الهوادي وتفنن الناس في ذلك، ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك ومن بين اللذين دخلوا في الفتوة ملك غزنه والهند وصاحب جزيرة كيش الأتابك سعد بن زنكي صاحب شيراز، والملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين صاحب حلب[3].

كما انفذ الناصر سراويل الفتوة إلى عز الدين أبو المظفر كيكاووس بن كيخسرو بن قلج أرسلان الثاني بن مسعود بن قليج أرسلان ملك بلاد الروم والمعروفة اليوم بتركيه وكان هذا أول دخول للفتوة في بلاد الأتراك[4].

وممن لبس سراويل الفتوة للخليفة الناصر لدين الله من ملوك الأطراف الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب الأيوبي ملك الشام ومصر وأبناؤه، والملك الكامل محمد والملك المعظم عيسى والملك الأشرف موسى والملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الأيوبي ملك حماه.

وبذلك انتشرت فتوة الناصر بين أمراء وملوك الأطراف واجابه العام والخاص باستثناء شخص واحد من بغداد يقال له "ابن السفت" فانه هرب من العراق إلى الشام

---

(١) ابراهيم الوائلي (الفتوة عند العرب) مجلة الرسالة، ع٩٣٢ (١٩٥١) ص٥٦٥.

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي ج٣ ص٦٩٩.

(٣) مقدمة كتاب الفتوة ص٦٧.

(٤) نفس المصدر ص٧٠.

رافضاً الانضمام إلى فتوة الناصر، فأرسل له الخليفة يرغبه بالأموال الجزيله ليرمي عنه وينتسب إليه في الرمي والانتماء إلى فتوته إلا أنه رفض ذلك بالرغم من إلحاح بعض أصدقائه طالبين عنه الاستجابه لمطالب الخليفة منكرين عليه الامتناع من أخذ الأموال قائلاً لهم يكفيني فخراً أنه ليس في الدنيا أحد إلا يرمي للخليفة إلا أنا[1].

ويؤكد جيرارد زالنغر بأن الناصر استطاع ادخال امراء العراق وشمال سوريا وآسيا الصغرى وأمراء غزنه في فتوته، وقد درج سلاطين المماليك في مصر فيما بعد حتى القرن الرابع عشر على منح سراويل الفتوة للأمراء والأعيان المصريين في بعض الأحيان[2].

---

(١) الكامل في التاريخ ج١٠ ص٤٥٣، جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية الشرقية) دراسات اسلامية ، ص٢٢١.

(٢) جيرارد زالنغر (الفتوة هي هي الفروسية الشرقية) دراسات اسلامية، ص٢٢٣.

مصير الفتوة بعد وفاة الخليفة الناصر لدين الله
ومحاولة خلفاء الدولة العباسية من بعده الابقاء عليها

اتبع الخلفاء العباسيون الذين جاءوا بعد الناصر طريقته في العناية بالفتوة والقيام برسومها ورعاية الفتيان في البلاد الإسلامية على اختلافهم في الحماسة لها بالإضافة إلى ميلهم.

فابنه محمد الظاهر لم يبق في الخلافة زمناً نستطيع ان نتبين به مقدار عنايته، فقد توفي في سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م ودامت خلافته من أول شعبان سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م إلى الرابع عشر من رجب سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م وقد أخذ الفتوة عن ابيه.

وجاء بعد محمد الظاهر ابنه المنصور المستنصر بالله حفيد الناصر وكانت عنايته بالفتوة كبيرة فقد حَسنَّ له جلال الدين عبد الله بن المختار العلوي الكوفي أن يلبس سراويل الفتوة من علي بن أبي طالب وأفتى بجواز ذلك، فتوجه المستنصر بالله إلى مشهد علي بالنجف ولبس السراويل عند الضريح وكان جلال الدين هو النقيب في ذلك.

وكان المستنصر يفتي الملوك والأعيان بطريقة الوكالة فيرسل الوكلاء إليهم ومعهم التشريفات ولباس الفتوة[1].

قال ابن الفوطي في ترجمة جلال الدين عبد الله بن المختار العلوي المتوفى سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م ولم يزل على ذلك إلى أيام الخليفة المستنصر بالله، فأشار عليه أن يلبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين وافتى بجواز ذلك فتوجه الخليفة إلى المشهد ولبس السراويل عند الضريح الشريف وكان هذا النقيب في ذلك.

---

(١) جيرارد زالنغر (الفتوة هل هي الفروسية) دراسات اسلامية ص٣٠، مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٥ (١٩٥٨)، ص٧٠، مصطفى جواد (مقدمة كتاب الفتوة) ص٧٩-٨٠.

ففي سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م انفذ المستنصر فخر الدين أبا طالب احمد بن الدامغاني والشيخ شمس الدين أبا البركات عبد الرحمن ابن شيخ الشيوخ والأمير فلك الدين محمد بن سنقر الطويل وسعد الدين حسن بن الحاجب إلى جلال الدين منكوبري بن خوارزمشاه محمد بن نكش مع رسول كان وصل منه وهو يؤمئذ على خلاط(*) محاصراً لها، وأرسل اليه معهم بتشريفات وكراع ولباس الفتوة، وكل الخليفة فخر الدين ابن الدامغاني في تفتيته من الخليفة، وكان الشيخ أبو البركات عبد الرحمن نقيب الفتوة.

وكان ذلك سؤاله ووصول رسول منه بطلبه، فخلعوا عليه خلعة الخليفة المستنصر بالله وألبسوه سراويل الفتوة[1].

وفي سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م حضر الشيخ عبد الله الشرمساحي مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية بالبدرية عند شرف الدين اقبال الشرابي وانعم عليه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة المستنصر بالله[2].

وفي خامس صفر سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م قدم نور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين بن زنكي صاحب شهروز فتلقاه موكب الديوان ورفع قدره وخلع عليه وأسكنُ بدار النقيب الطاهر، واستدعى في اليوم الحادي والعشرين شرف الدين إقبال الحبشي الشرابي مقدم الجيش يومئذ فشرفه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة المستنصر بالله وخلع عليه[3].

(*) بلده عامره مشهوره ذات خيرات وثمار يانعه من فتوح عياض بن غنم، وهي قصبة ارمينية الوسطى، تشتهر بالاسماك والمياه الغزيرة، معجم البلدان، ج٢، ص٣٨٠ (طبعة دار صادر).

(١) مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥، (١٩٥٨)، ص٧١-٧٢، الفتوة عند العرب/ عمر دسوقي ص٢٤٩، مقدمة كتاب الفتوة (مصطفى جواد) ص٨١-٨٢.

(٢) الفتوة عند العرب ص٢٤٩، مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥، (١٩٥٨) ص٧٢، مقدمة كتاب الفتوة ص٨٣.

(٣) مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥، (١٩٥٨)، ص٧٢، مقدمة كتاب الفتوة ص٨٢.

وفي سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م هرب قطب الدين سنجر المعروف "بالياغر المستنصري" أحد امراء الجيش العباسي من العراق وفي صحبته جماعة من المماليك فلقيه أبو علي بن غنام أمير عرب الشام فقبض عليه وأتى به إلى بغداد تحت الاستظهار وأحضر ابن غنام إلى البدرية وخلع عليه وشرّف بلباس الفتوة من الخليفة ثم رجع إلى مستقره[١].

وفي سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م توفي جلال الدين عبد الله بن المختار العلوي الكوفي وكان يحضر عند الخليفة الناصر في رمي البندق والفتوة ولعب الحمام.

وكان يفتي ويرجع إلى قوله ولم يزل كذلك إلى أيام الخليفة المستنصر بالله، فأشار إليه أن يلبس سراويل الفتوة[٢].

ويرى "فرانز تيشنر" أن حفيد الناصر المستنصر قد أسس سلسلة جديدة للفتوة تبدأ به وتنتهي بعلي ولكن يخيل أن هذا الأمر لم يقع لأنه لا يوجد ما يدل على ذلك في كتب الفتوة[٣].

وفي ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م سئل الملك الظاهر بيبرس الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي "هل لبس الفتوة من أحد من أهل بيته العباسيين الطاهرين أو من أوليائهم المتسقين؟" فقال: لا.

والتمس من السلطان أن يصل سببه بهذا المقصود، فلم يمكن السلطان إلا طاعته المفترضه وأن يمنحه ما كان ابن عمه افترضه ولبس الخليفة في الليلة المذكورة بحضور من يعتبر حضوره في مثل ذلك وباشر الأتابك فارس الدين أقطاي بطريقي الوكالة عن السلطان بحق لبسه من الإمام المستنصر بالله الثاني أمير المؤمنين ولد الإمام الظاهر وأبوه

---

(١) مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٥ ، (١٩٥٨) ص٧٢، مقدمة كتاب الفتوة ص٨٢/ ٨٣.

(٢) الفتوة عند العرب ص٢٤٩.

(٣) فرانز تيشنر (الفتوة والخليفة الناصر) المنتقى من دراسات المستشرقين ج١ ع١ ص١٩٨.

لجده الناصر لدين الله لعبد الجبار لسلمان الفارسي للإمام الطاهر علي بن أبي طالب، وحمل السلطان إلى الخليفة الملابس التي تليق بجلاله[1].

وكان سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ركوداً لأمر الفتوة في بغداد، ثم ظهرت الدولة العباسية الصورية في مصر فظهرت معها الفتوة[2].

ويشير تيشنر إلى أن سقوط الخلافة العباسية على أثر غزو هولاكو لبغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) أدى إلى زوال هذا الضرب من الفتوة الخلافية أو إلى اندثار معالمها شيئاً فشيئاً[3].

وعندما أعاد الملك الظاهر بيبرس الخلافة العباسية إلى مصر في سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م انتقلت إلى القاهرة معها الفتوة الخلافية، ويذكر المؤرخ النصراني المفضل بن أبي الفضائل ان بيبرس لبس قبل دخوله دمشق لباس الفتوة، ألبسه إياها الخليفة المستنصر بالله الثاني وهذا نص التشريف: ثم تجهز الظاهر بيبرس إلى الشام في تاسع عشر رمضان ورغب السلطان في لباس الفتوة فألبسه الخليفة المستنصر بالله قبل سفره، وفي يوم عيد الفطر ركب السلطان مع الخليفة تحت المظلة وصليا صلاة العيد، وحضر الخليفة إلى خيمة السلطان بالمنزلة وألبسه سراويل الفتوة بحضرة الأكابر[4].

---

(١) فرانز تيشنر (الفتوة والخليفة الناصر / المنتقى من دراسات المستشرقين ج١ ع١، ص٢٠١-٢٠٢، مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٥، (١٩٥٨)، ص٧٣.

(٢) مصطفى جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥، (١٩٥٨)، ص٧٢-٧٣، مقدمة كتاب الفتوةص٨٣، دراسات اجتماعية/ عمر رضا كحاله، ص٣٠.

(٣) فرانز تيشنر (الفتوة والخليفة الناصر) المنتقى من دراسات المستشرقين، ج١، ع١، ص٢٠٠.

(٤) فرانز تيشنر (الفتوة والخليفة الناصر) المنتقى من دراسات المستشرقين، ص٢٠١.مقدمة كتاب الفتوة ص٨٣، مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٥، (١٩٥٨)، ص٧٢-٧٣، دراسات اجتماعية (عمر رضا كحاله) ص٣٠.

وقد سار خلفاء بيبرس سيرته ولبسوا لباس الفتوة وألبسوه الأمراء المماليك وغيرهم ففي سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م ألبس السلطان الأشرف خليل علاء الدين الهكاري الأمير الكردي لباس الفتوة وكتب توقيعاً بذلك[١].

وهكذا توارث خلفاء الناصر لدين الله نظام الفتوة حتى زمن المستعصم آخر خلفاء بني العباس في الشرق حين دَمّر هولاكو المغولي بغداد وقتل المستعصم وأهل بيته سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وبذلك ضرب الفتوة الناصرية التي أنشأها الناصر[٢].

ونجد أن عمر دسوقي يشير إلى فشل سياسة الناصر فلم يطل أمد الخلافة بعده، فقد وليها بعده ابنه الظاهر مدة عام، ثم جاء بعده حفيده المستنصر بالله ثم المستعصم فكان موت الناصر سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، ويشير دسوقي إلى نهاية فتوة الناصر والتي أطلق عليها فتوة المترفين، ويرى أن فتوة الناصر هذه تمثل وثبه المحتضر الذي يلفظ آخر انفاسه وإنها لم تعمر إلا أمداً يسيراً ولم تثمر الثمرة المرجوّة، ويعلل دسوقي رأيه في ذلك: بأن جسم الخلافة بل جسم الأمة الإسلامية في المشرق ضعيفاً وليس من السهل إعادة العافيه لمن وهنَ عظمة ودب في دبيب الفناء وانهكته امراض الشيخوخه[٣].

أما بروكلمان فإنه يرى أنه تعاقب على عرش بغداد بعد وفاة الخليفة الناصر الحازم ذي الهمة العالية خلفاء مستضعفون[٤].

أما الدكتور محمد رجب النجار مؤلف كتاب حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي فيشير إلى أن خلفاء الدولة العباسية الذين جاءوا بعد الناصر اتبعوا اثره في العناية بالفتوة والقيام برسومها ونقلوها معهم بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد واحيائها في القاهرة، فراجت في بيئات المتصوفة دون أن يكون لها أي تأثير سياسي[٥].

---

(١) فرانز تيشنر (الفتوة والخليفة الناصر) المنتقى من دراسات المستشرقين، ج١، ع١، ص٢٠٢.

(٢) الفتوة عند العرب (عمر دسوقي) ص٢٤٩، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص٧٩.

(٣) الفتوة عند العرب ، ص٢٥٢.

(٤) مصطفى جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٥، (١٩٥٨)، ص٧٠-٧١، مقدمة كتاب الفتوة، ص٧٩-٨٠.

(٥) محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي)، ع٤٥، (١٩٨١)، ص١٦٠.

الفهارس الفنية

فهارس الآيات القرآنية

السورة	رقمها	الآيـــة	رقمها	الصفحة
الكهف	١٨	إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ	١٣	٤٢
الأنبياء	٢١	قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ	٦٠	٤٢
الكهف	١٨	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ	٦٠	٤٢
النور	٢٤	وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ	٣٣	٤٢
آل عمران	٣	كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ	١١٠	٤٣
آل عمران	٣	وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ	١٣٣	٤٤
النساء	٤	وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ	٣٦	٤٥

السورة	رقمها	الآية	رقم الآية	الصفحة
		أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا		
البقرة	٢	وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ	١٧٧	٤٥
الكهف	١٨	إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا	١٠	٤٧
الكهف	١٨	نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا * هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ	١٣-١٦	٤٧

		فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا		
الكهف	١٨	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا	٦٠	٤٧
الكهف	١٨	قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا	٦٤	٤٧
الكهف	١٨	فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا	٦٢	٤٨
النساء	٤	وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ	٢٥	٤٨

		مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ		
الأنبياء	٢١	قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ	٦٠	٤٨
النور	٢٤	وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ	٣٣	٤٨
يوسف	١٢	وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ	٣٠	٤٩
يوسف	١٢	وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ	٣٦	٤٩

يوسف	١٢	وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ	٦٢	٤٩
آل عمران	٣	وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ	١٥٩	٥٠
يوسف	١٢	لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا	٩١	٥١
الأنبياء	٢١	يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ	٦٩	٥٢
الأنبياء	٢١	ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ	٦٢	٥٢
الأنبياء	٢١	سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ	٦٠	٥٢
هود	١١	إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ	٧٥	٥٢
الذاريات	٥١	هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ	٢٤	٥٢
الكهف	١٨	أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا	٩	٥٣
الكهف	١٨	إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ	١٠	٥٧

		رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا		
الكهف	١٨	إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ	١٠	٥٨
الكهف	١٨	رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	١٤	٥٩
الكهف	١٨	فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا	١١	٦٠
الكهف	١٨	فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ	١١	٦١
الكهف	١٨	فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ	١١	٦١
الكهف	١٨	ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا	١٢	٦١
الكهف	١٨	قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ	١٩	٦١
الكهف	١٨	نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى	١٣	٦١
الكهف	١٨	وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ	١٤	٦٢

إِذًا شَطَطًا

الكهف ١٨ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥ ٦٢

الكهف ١٨ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ٦٢

الكهف ١٨ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ ٦٣

الكهف ١٨ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ١٨ ٦٣

السورة	رقمها	الآية	رقم الآية	الصفحة
		اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا		
الكهف	١٨	وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ	١٨	٦٣
الكهف	١٨	وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ	١٨	٦٤
الكهف	١٨	لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا	١٨	٦٤
الكهف	١٨	وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا	١٩	٦٤
الكهف	١٨	إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا	٢٠	٦٥
الكهف	١٨	وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا	٢١	٦٥

		أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا		
الكهف	١٨	سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا	٢٢	٦٦
الكهف	١٨	قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم	٢٢	٦٦
الكهف	١٨	فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا	٢٢	٦٦
الكهف	١٨	وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا	٢٢	٦٦
الكهف	١٨	وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا	٢٣	٦٦

السورة	رقمها	الآية	رقم الآية	الصفحة
الكهف	١٨	إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا	٢٣	٦٧
الكهف	١٨	إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ	٢٤	٦٧
الكهف	١٨	إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا	٢٤	٦٧
الكهف	١٨	وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ	٢٤	٦٧
الكهف	١٨	عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا	٢٤	٦٧
الكهف	١٨	وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا	٢٥	٦٧
الكهف	١٨	قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا	٢٦	٦٨
الكهف	١٨	لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	٢٦	٦٨
الكهف	١٨	وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا	٢٦	٦٨
الكهف	١٨	وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ	٢٧	٦٨

		لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا		
الكهف	١٨	وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا	٢٧	٦٨
الكهف	١٨	وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ	٦٠	٦٩
الكهف	١٨	أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا	٦٠	٦٩
الكهف	١٨	فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا	٦١	٧١
الكهف	١٨	فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا	٦١	٧١
الكهف	١٨	فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا	٦٢	٧١
الكهف	١٨	أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا	٦٣	٧٢
الكهف	١٨	فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ	٦٥	٧٢

السورة	رقمها	الآية	رقم الآية	الصفحة
		مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا		
آل عمران	٣	وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ	١٥٩	٧٣
الأعراف	٧	خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ	١٩٩	٧٤
التوبة	٩	عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ	١٢٨	٧٤
الزمر	٣٩	إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ	١٠	٧٧ (الهامش)
الأعراف	٧	فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ	٨٧	٧٧ (الهامش)
يونس	١٠	أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ	٦٢	٧٩
الذاريات	٥١	إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ	٥٨	٨٣
الروم	٣٠	ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً	٥٤	٨٣
الأنبياء	٢١	سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ	٦٠	٨٣

		إِبْرَٰهِيمُ		
الكهف	١٨	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ	٦٠	٨٣
الأحزاب	٣٣	ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا	٤١+٤٢	٨٥
الاسراء	١٧	وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا	٣٤	٨٨
الكهف	١٨	إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ	١٠	١٧٥

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأشعار

صدر البيت	القافية	الصفحة
إذا عاش الفتى مائتين عاماً	الفَتَاءُ	١١+١٤
وفتو هجروا ثم أسْرَوْا	حَلّوا	١٢
هلمَّ إلى قضاةِ الغوث فأسألْ	القضاةِ	١٢
أنخْ بفناء أشدقَ من عدِيَّ	الثَّفاني	١٢
فبت أفاتيها فلا هي ترعَوِيَ	فتبخلا	١٢
غَدَا فَتَيَا دهرٍ وراحا عليهمُ	التواليا	١٢
فما لبثوا إلاّ فِتىً من نهارهم	القتل	١٢
ما لبث الفَتَيان أن عصفا به	مِفتاحاً	١٦
يَا عزُّ هل لك في شيخٍ فتىً أبداً	فتيان	١٦
فتى الحي إن تلقاه في الحي أو يُرى	المشاهدُ	١٧
إن الفتى حَمَّالُ كل مُلِمَّةٍ	الصبيان	١٩
مَوتُ الفتى في عزّةٍ خيرٌ له	أكحلِ	١٩
لَنِعَمَ الفتَى تَعْشُوُ إلى ضَوءُ نارُهُ	الْخَصِرْ	١٩
أنا إذا الموت ينال غاليه	بعاليه	١٩
هوى الفتى الكامل الحامي حقيقته	منثاباً	٢٠
قد يعلم الفتيان أني صاليه	عواليه	٢٠
إذا القوم قالوا من فتى لعظيمة	الفتى	٢١
إذا خام أقوام تقحمتُ غَرْةً	المداعُسَ	٢١
لعُمر أبيكَ الخير إني لخادم	لفارس	٢١
وإني لاشرّي الحَمدَ أبغي رِبَاحَه	ناعس	٢١

المصادر والمراجع

أ- المصادر الأولية:

- **القرآن الكريم:** وبهامشه تفسير الإمامين الجلالين طبع بنفقة الحسن الكبير السيد حسن عباس الشربتلي.
- **آبـــادي:** العلاّمة الحافظ أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي "**المعجم الصغير**" دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **ابن الأثير:** الإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين المتوفى سنة ٦٣٠هـ.
  "**الكامل في التاريخ**" عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
  "**الكامل في التاريخ**" دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- **الأصفهاني:** علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبوالفرج، المتوفى سنة ٩٧٦م.
  "**الأغاني**" إعداد لجنة نشر كتاب الأغاني بإشراف محمد أبوالفضل ابراهيم، الناشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر- القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- **الألباني:** محمد ناصر الدين الألباني "**سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة**" مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- **الأندلسي:** ابن عبدربه الأندلسي"**العقد الفريد**" إعداد محمد صالح وسميح أبومغلي مراجعة منيب صبحا، مكتبة الحياة – عمان.

- **البغدادي:** الحافظ الإمام أبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا البغدادي المتوفى سنة ٢٨١هـ.

كتاب "**الصمت وآداب اللسان** "مع ترجمة إضافية لابن أبي الدنيا دراسة وتحقيق نجم عبدالرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى – ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- **البيروني:** أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، المتوفى سنة ٤٤٠ هـ. "**الجماهر في معرفة الجواهر**". مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن. الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ.

- **البيهقي:** إمام المحدثين الحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨م.

"**السنن الكبرى**" وفي ذيله الجوهر النقي للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان الماريني الشهير بأبن التركماني المتوفى سنة ٧٤٥هـ دار الفكر.

- **الجرجاني:** الفاضل العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني

"**التعريفات**" تعريفات ومصطلحات لغوية وفقهية وفلسفية جُمعت من أمهات الكتب الفلسفية والفقهية واللغوية، ورتبت على حروف الهجاء من الألف إلى الياء مع فهرست، مكتبة لبنان – بيروت – ١٩٨٥م.

- **ابن قيم الجوزية:** الإمام العالم شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن أبي بكر ابن أيوب الزرعي المعروف بأبن قيم إمام الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ.

"**الفروسية**"عرفَ الكتابْ وترجم المؤلف وصححه السيد عزت العطار الحسيني. دار الكتب العلمية.

- **ابن الجوزي:** أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧م
"**المنتظم**"دراسة وتحقيق محمد مصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان.

- **الحمــــوي:** الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، المتوفي سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م.
"**معجم البلدان**" منشورات دار الفكر - بيروت.

- **الحنبــــلي:** المؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي المتوفي سنة ١٠٨٩هـ.
"**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**"
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
"**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**"
طبعة مركز الموسوعات العالمية/ بيروت.

- **الحنبـــلي:** الشيخ أبي عبدالله محمد بن أبي المكارم المعروف بأبن المعمار البغدادي الحنبلي.
"**كتاب الفتوة**" حققه ونشره: الدكتور مصطفى جواد، والدكتور محمد تقي الدين الهلالي، والدكتور عبدالحليم النجار، وأحمد ناجي القيسي، مطبعة شفيق، الطبعة الأولى - ١٩٥٨م.

- **الذهبـــي:** مؤرخ الإسلام الحافظ محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، المتوفي سنة ٧٤٨هـ.

"**العبر في خبر من غبر**" تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت – ١٩٦٣م.و "**الاعلام بوفيات الاعلام**" تحقيق مصطفى بن علي عوض وربيع أبوبكر عبدالباقي. مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- **الزبيدي**: العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى.
"**إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين**" وبهامشه كتابُ الإملاء عن اشكالات الاحياء، دار الفكر.

- **الزمخشري**: الإمام محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٢٨م،
"**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**".
تفسير القرآن الكريم رتبه وضبطه القرآن الكريم مصطفى حسين أحمد، الناشر دار الريان للتراث – القاهرة ١٩٨٧م.

- **السلميّ**: أبي عبدالرحمن السلمي، المتوفي سنة ٤١٢هـ .
"**طبقات الصوفية**" تحقيق نور الدين شربية، الناشر جماعة الأزهر للنشر والدراسات والتأليف، مطابع دار الكتاب العلمي بمصر، طبعة سنة ١٩٥٢م وسنة ١٩٥٣م.

- **السيوطي**: الإمام عبدالرحمن بن الجمال جلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١هـ.
"**تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور**" ضبط النص والتصحيح وإسناد الآيات ووضع الحواشي والفهارس بإشراف دار الفكر للطباعةوالنشر والتوزيع ١٩٨٣م.

- **الطبراني**: الإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني المتوفي سنة ٣٦٠هـ.

"**المعجم الأوسط**" تحقيق محمد حسن اسماعيل الشافعي، توزيع محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- **الطبري**: الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٣م.
"**تاريخ الطبري/المعروف بتاريخ الأمم والملوك**" راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الأجلاء، منشورات مؤسسة الأعظمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- **العجلوني**: الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي المتوفي سنة ١١٢٦هـ
"**كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس**" الناشر مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، توزيع مكتبة الغزالي - دمشق.

- **القرطبي**: أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
"**تفسير القرطبي/الجامع لأحكام القرآن**" الناشر مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، توزيع مكتبة الغزالي/ دمشق.

- **القضاعي**: القاضي أبي عبدالله محمد بن سلامة القضاعي، المتوفي سنة ٤٥٤هـ
"**مسند الشهاب**" حققه وخرّج أحاديثه حمدي عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- **المقريزي**: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي المتوفي سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م.
"**كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**" حققه وقدم له ووضع حواشيه الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب - ١٩٧٠م.

"**كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**" صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، الطبعة الثانية، ومطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- **النيسابوري:** الإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري.

"**المستدرك على الصحيحين**" وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي بإشراف د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة/ بيروت.

- **الهندي:** العلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوزي المتوفي سنة ٩٧٥هـ.

"**كنز العمال في سنن الأقوال**" طبعه وفسر غريبه الشيخ بكري حياني، صححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

المراجع

- **زاللفر**، جيرارد، الفتوة هل هي الفروسية الشرقية، دراسات أسلامية اشراف د. نقولا زيادة. دار الأندلس – بيروت.

- **دسوقي**، عمر، الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا، مكتبة نهضة مصر.

- **لانكستر** هاردنج، آثار الأردن، تعريب سليمان الموسى، منشورات وزارة السياحة والآثار.

- **المنجد**، صلاح الدين، المنتقى من دراسات المستشرقين، دراسات مختلفة، ومطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- **عفيفي**، د. أبوالعلاء، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، دار إحياء الكتب العربية١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م .

- **بك**، د. أحمد أمين، الصعلكة والفتوة في الاسلام. دار المعارف للطباعة والنشر، مصر/ ١٩٥٢م.

- **جواد**، مصطفى، الفتوة منذ القرن الأول للهجرة إلى القرن الثالث عشر، الطبعة الأولى/ ١٩٥٨م.

- **زيدان**، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، منشورات مكتبة الحياة بيروت/ ١٩٦٧م.

- **مزيد**، بدري محمد، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري/ مطبعة الارشاد – بغداد – ١٩٦٧م.

- **الدوري**، د. عبدالعزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت/ ١٩٦٩م.
- **العبادي**، د. أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي. دار النهضة العربية - بيروت/ ١٩٧١م.
- **كحالة**، عمر رضا، دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية. المطبعة التعاونية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- **عبد المولى**، د. محمد أحمد، العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي، الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع - الاسكندرية - ١٩٨٦م.
- **العبد**، د. عبداللطيف، التصوف في الاسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه، الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، دار الثقافة العربية - القاهرة.

دواوين الشعر

- **بن شداد":** عــنترة بــن شــداد بــن عمــرو بــن معاويــة العبــسي
"ديوان عنترة" حققه وقدم له المحامي فوزي عطوي
الشركة اللبنانيـة للكتـاب للطباعـة والنشر والتوزيـع
بيروت – لبنان
الطبعة الأولى (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

- **الخنساء:** تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياصية
السُلمية، من بني سُليم، من قيس عيلان، من مضر.
"ديوان الخنساء"دار الأندلس للطباعة والنشر –
بيروت
الطبعة الخامسة – ١٩٦٨م.

- **امرئ القيس:** امرؤ القيس بن حُجير بن الحارث الكندي، من بني
آكل المرار"ديوان امرئ القيس" تحقيق حنا
الفاخوري
دار الجيل – بيروت
الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

المعاجم

- **أبي دُريد:** أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري المتوفي سنة ٣٢١هـ "**جمهرة اللغة**".
طبعة مكتبة الثقافة الدينية وطبعة دار صادر – بيروت.

- **هادية والبليش:** علي بن هادية وبلحسن البليش والجيلاني بن الحاج يحيى "**القاموس الجديد للطلاب**"
تقديم محمود المسعدي
الشركة التونسية للتوزيع/ تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع/ الجزائر – ١٩٧٩م.

- **بدون مؤلف:**
"**المنجد في اللغة**"
الطبعة العشرون - دار المشرق
بيروت – لبنان.

- **البستاني:** بطرس بن بولس بن عبدالله البستاني - المتوفى سنة ١٨٨٣م. "**محيط المحيط**"
قاموس مطول في اللغة العربية،
مكتبة لبنان.
"**قطر المحيط**" مكتبة لبنان.

- **عبدالحميد والسبكي:** محمد محيي الدين عبدالحميد ومحمد عبداللطيف السبكي. "**المختار من صحاح اللغة**".

- **الجوهري:** اسماعيل بن حماد الجوهري "**الصحاح**".
تحقيق أحمد بن عبدالغفور عطار
دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٩م.

- **الزمخشري:** الإمام العلامة جار الله أبي القاسم محمودُ بن عمرو الزمخشري "**أساس البلاغة**"
دار صادر - بيروت ١٩٧٩م.

- **الزنجاني:** محمود بن أحمد الزنجاني "**تهذيب الصحاح**"
تحقيق عبدالسلام محمد هارون وأحمد عبدالغفور عطار
عني بنشره محمد سرور الصبّان
دار المعارف – مصر.

- **ابن منظور:** محمد بن مكرم بن علي، أبوالفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الافريقي المتوفى سنة ٧١١هـ.
"**لسان العرب المحيط**" المصطلحات العلمية والفنية. قدم له العلامة الشيخ عبدالله العلايلي، إعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي ،طبعة دار لسان العرب - بيروت. وطبعة دار صادر – بيروت

الدوريات والمجلات

- **مجلة الرسالة:** العدد ٣٥٦ - السنة الثانية (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م).
"النقابات الإسلامية" للأستاذ برنارد لويس/ ترجمة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري.

(الفتوة في اللغة وكتب الأدب وحياة الفتيان في "الجاهلية وعصور الإسلام" الأستاذ ضياء الدخيلي ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

- **مجلة الهلال:** العدد ٣٥٧ - ٢٨ ربيع الأول ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، السنة الثامنة، الجزء السادس "الفروسية" بقلم محمد عبدالله عناق).

- **مجلة كلية الآداب/ بغداد:** العدد الأول - حزيران ١٩٥٩ (نشوء الأصناف والحرف في الإسلام/ د. عبدالعزيز الدوري.

- **مجلة الأقلام:** مجلة شهرية تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد - بغداد، السنة الأولى - العدد ٣، ١٣٨٤/ ١٩٦٤م.
"ميادين الفروسية في سامراء"/ بقلم سالم الألوسي

- **مجلة المورد:** مجلة تراثية تصدرها وزارة الإعلام العراقية، المجلد ٢/ العدد الثالث/ السنة الثانية - أيلول ١٩٧٣م.

= **"الحالة الاقتصادية في عهد الخلافة العباسية"** المستشرق السوفيتي/ ي. أ. بيليايف)، ترجمة الدكتور جليل كمال الدين.

- العدد الثاني/ المجلد رقم ٢ السنة الثانية، حزيران سنة ١٩٧٣م

= **"بغداد في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي"** المستشرق الفرنسي ماريوس كنار، ترجمة د.أكرم فاضل.

- **مجلة كلية الآداب والتربية:** جامعة الكويت: العددان ٣/ ٤ سنة ١٩٧٣م

"الحركات الشعبية وزعماؤهما في دمشق في العهد الفاطمي" د. شاكر مصطفى.

- **مجلة دراسات تاريخية:** مجلة علمية فصلية تعنى بالدراسات حول تاريخ العرب. إصدار لجنة كتاب تاريخ العرب - جامعة دمشق، العدد الثالث صفر ١٤٠١هـ كانون أول ١٩٨٠م.

"الحياة الاقتصادية في بلاد الشام" بين سنتي ١٣٢-٣٥٩هـ د. أمية بيطار).

- **مجلة الاجتهاد:** مجلة متخصصة تعنى بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي، دار الاجتهاد - بيروت، العدد السادس/ السنة الثانية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
(الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الاسلامية خلال القرون الوسطى) كلودكاهن.

- **مجلة عالم الفكر:** مجلة دورية تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت مجلد١١ ١٩٨٠/ ١٩٨١م.
"الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية الطوائف الصناعية أو الأصناف" د. أحمد مختار العبادي).

- **عالم المعرفة:** سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، العدد ٥٤، أيلول ١٩٨١م **"حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي"**/ د. محمد رجب النجار.

المحتويات



السيرة الذاتية للمؤلف

الإسم: الدكتور أحمد محمد موسى الخطيمي
مكان الولادة: مادبا
تاريخ الولادة: 1945

* المؤهلات العلمية:

1- ثانوية عامة أدبي 1966
2- ليسانس تاريخ - جامعة بيروت العربية 1973
3- دبلوم دراسات إسلامية - معهد الدراسات الإسلامية - القاهرة 1976
4- ماجستير تاريخ - الجامعة اليسوعية 1981
5- دكتوراه تاريخ الجامعة اليسوعية 1986

* الخبرات العملية:

1- موظف في الإحصاءات العامة-باحث إحصائي.
2- مديرية الجوازات-مأمور جوازات.
3- مديرية المكتبات والوثائق-وزارة الثقافة-باحث وثائق.
4- سلطة وادي الأردن-رئيس قسم مشتريات.
5- سلطة المياه-رئيس قسم الإدارة (في إدارة مياه محافظة العاصمة).
6-وزارة الثقافة-مدير مديرية ثقافة محافظة مادبا
7-عمل في الكلية العربية لمدة عامين غير متفرغ.

* الكتب المنشورة:

1- مثير الغرام الى زيارة القدس والشام-تحقيق.
2- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام-تحقيق مع آخرين.
3- بلدانيات الأردن في كتب الرحالة والجغرافيين-دراسة.
4- علماء الأردن في العصور الإسلامية-دراسة.
5- الفتوّة، نشأتها وتطورها حتى سقوط الدولة العباسية 656 هـ/ 1258م.
وهناك العديد من الأبحاث تحت الإنجاز.

* العضوية:

1- عضوية هيئة إدارية لجمعية المكتبات والمعلومات الأردنية.
2- عضو جمعية البحوث والدراسات الإسلامية.
3-عضو اتحاد المؤرخين العرب/ بغداد.